



الحدائق الاسلامية

محتويات العرض



- ✓ التطور التاريخي للحدائق الاسلامية ومفهومها .
- ✓ انماط واشكال الحديقة في المجتمع الاسلامي.
- ✓ العناصر المعمارية وميزات الحديقة الاسلامية .

الحديقة في المدينة الاسلامية

لم تظهر الحضارة الإسلامية من العدم، فقد عرف عرب الجاهلية الذين شكلوا نواة المجتمع المسلم فيما بعد الزراعة، فزرعوا البساتين والحقول بالعديد من أصناف الأشجار والفواكه والحبوب، وعند بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة حض منذ البداية على تطوير الزراعة، وحولت السياسة التي اتبعها المدينة المنورة إلى واحة خضراء في وسط الصحراء المحيطة، ثرية ببساتينها وآبارها .

وهو الأمر الذي تطور في فترة الخلافة الأموية التي استتب فيها الأمن وازدهر اقتصادها، فظهرت أولى الحدائق التي زرعت لأهداف جمالية، بما تحويه من عناصر تحقيق الخصوصية والبرك والأشجار والزخارف، وتطورت الحدائق في عصر الخلافة العباسية، لتزداد مساحتها إلى مقاييس جديدة غير معهودة، وبرز نمطين من الحدائق الملكية هما شبه العام والخاص، وأدخل العباسيون عناصر معمارية جديدة لأول مرة أبرزها المقصورات .

واستمر التطور في العصور اللاحقة، فظهرت أنماط مختلفة من الحدائق الجمالية في الأندلس ولم تعد مقتصرة على الملوك والنبلاء، وتطورت العناصر المعمارية والزخرفية و الأثاث والأدوات المستخدمة بداخلها، وإن بقيت حدائق هذه الفترة محصورة ضمن ما يعرف بالأفنية الداخلية وذلك على ما يبدو مرتبط بأسباب التكيف البيئي .

وشهدت عمارة الحدائق في إيران والهند (تحت حكم المغول) بروز مفاهيم وأبعاد جديدة للحدائق تبعاً لتغير البعدين الثقافي والمناخي، فبرز نوعان أساسيان من الحدائق، الأول الحدائق الملكية بما تحويه من تدرج من العام إلى الخاص وحدائق المدافن والمزارات شبه العامة .

وقد تميزت الحدائق في هذه الفترة بالمساحات الضخمة التي شغلتها وخروجها من إطار الفناء الداخلي، وإن بقيت مغلقة بجدران تحيطها، حيث أصبحت المباني جزءاً من الحدائق بعد أن كانت الحدائق جزءاً صغيراً من المباني، واستخدمت العديد من العناصر المعمارية وخصوصاً الماء بأبعاد جديدة لم تعهد من قبل في المجتمعات الإسلامية.

وقد بلغت الحدائق أوج تطورها ببروز المدن الحدائقية ، والتي تمثلت بمدينة أصفهان في إيران.

التطور التاريخي للحدائق الإسلامية

فكر ومغالطات

لا يتطرق المؤرخون والباحثون المستشرقون إلى الحقائق في المجتمعات الإسلامية إلا من خلال ربطها بالحقائق الفارسية، حيث اعتمدوا في ذلك على الكثير من المغالطات التاريخية منها ادعاء تخلف العرب وبدautهم وتجاهلهم التسلسل التاريخي لتطور هذه الحقائق، سواء كان ذلك بحسن نية أو غير ذلك، وللأسف تأثر بهم العديد من الباحثين المسلمين فأصبحوا يكررون ادعاء هؤلاء دون محاولة التمحيص في دقة معلوماتهم .

فكر ونتاج

ولم تظهر الحقائق في المجتمعات الإسلامية من العدم بل كانت نتاجا لسلسلة طويلة من التطور والإثراء بالمفاهيم التي تفاعلت مع العادات والثقافة المجتمعية لهذه الشعوب منذ ما قبل الإسلام، والتي عمل الإسلام على تحييد ما هو غير مناسب منها وتطوير وإثراء ما أنسجم مع رسالته وقيمه .

تعريف

ويتوسع إبن منظور أكثر في تعريفه للحديقة في كتابه لسان العرب بقوله :

والحديقة من الرياض: كلُّ أرض استدارت وأُحْدِقَ بها حاجزٌ أو أرض مرتفعة، ويورد أمثلة لغوية
وشعرية توضح هذا المفهوم منها شعر لعنترة العبسي يقول فيه :

جاءتُ عليها كلُّ بكرٍ حُرّةٍ، فتركن كلَّ حديقةٍ كالدرهم

في لغات اخرى

ولا يختلف معنى كلمة حديقة في اللغة الإنجليزية عنه في العربية فنجد كولن في قاموسه هاراب يشير إلى معنى كلمة "garden" البريطانية ومرادفتها "Yard" الأمريكية على أنها "ارض تستخدم لإنبات الخضروات والأزهار وغيرها، وعادة تكون بقرب البيت" ،(Collin, 1982,P:82).

ويكتمل التطابق في المفهوم اللغوي بين اللغتين بما تضيفه مريم ويبستر Webster في قاموسها بقولها: أن المعنى الأصلي لكلمة حديقة (Garden) في اللغات الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية هو المكان المغلق (enclosure) -أو بمعنى آخر مكان محاط بحاجز يفصلها عن المحيط-.

(Webster,2009,P:1).

مفهوم الحقائق عند المسلمين

في البداية لابد من التمييز بين نتاج المجتمعات المسلمة والتي منها الحقائق مدار الدراسة وبين النتاج الإسلامي الخالص، فنتاج المجتمعات المسلمة وطريقتهما في العيش قد تختلف أحيانا عن تفسير البعض للتعاليم الحرفية للدين فالمجتمعات المسلمة هي مجتمعات بشرية تحتمل الخطأ والصواب في حياتها اليومية.

والحقائق في المجتمعات المسلمة هي الحقائق التي كانت نتاجا لهذه المجتمعات منذ القرن السابع الميلادي (بعث الرسول محمد ﷺ) وحتى نهاية الفترة العثمانية في بداية القرن العشرين.

تتشابه الحقيقة في المجتمعات المسلمة مع العديد من حقائق الحضارات الأخرى بأدائها مجموعة من الوظائف، منها ما يختص بالناحية الجمالية، أو بعملية التكييف البيئي أو بعملية إنتاج الغذاء ومنها ما يحقق حاجات الأفراد من الأمن والخصوصية أو حتى صيدلية منزلية للعلاج وبمفهوم آخر فالحقيقة في المجتمعات المسلمة كانت متعددة الوظائف .

الحديقة الاسلامية مميزة

إلا أن التشابه في الوظائف رافقه اختلاف في المفاهيم يميزها عن غيرها ويعطيها فرادتها، ولعل أهم هذه المفاهيم أنها أول حديقة استخدمت فيها الرمزية في تجسيد الجنة على الأرض، حيث يحمل كل عنصر من عناصر هذه الحديقة مفاهيم دينية واجتماعية إسلامية تتماشى مع المتغيرات الجغرافية والبيئية .

مفهوم الجنة

وعند العودة إلى المفهوم اللغوي للمفردة جنة يلاحظ التطابق في المعنى بينها وبين مفردة حديقة فالمنجد في اللغة والأعلام يعرف المفردة " الجنة " : جمعها جنان وجنات ، أي الحديقة ذات الشجر قيل لها ذلك لسترها الأرض بظلالها ، (الفردوس الأرضي أو السماوي). (البستاني ، 1984 ، ص: 102).

أما لسان العرب فيعرفها بقوله: والجنةُ: الحديقةُ ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها، وقال أبو علي في التذكرة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنبٌ، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، وقد ورد ذكرُ الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في أكثر من موضع.

والجنةُ: هي دارُ النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان، وهو السُّرُّ لتكاثفِ أشجارها وتظليلها بالتفافِ أغصانها، قال: وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنة جنًا إذا ستره.

التطور التاريخي

الحديقة عند العرب الجاهلية

يدعي الكثير من الباحثين المستشرقين أمثال كرزويل بأن الحضارة العربية ما قبل الإسلام كانت حضارة بداءة تخلو من الفن المعماري المتقدم، ولكن عند النظر إلى الشعر الجاهلي نجد أن الحقيقة قد ذكرت فيه بمعناها اللغوي الدقيق (أنظر الى المفهوم اللغوي) ومنها بيت لعنترة العبسي الشاعر الجاهلي الشهير يقول فيه :

جاءتُ عليها كلُّ بكرٍ حُرّة، فتركن كلَّ حديقةٍ كالدرهم

وأما مدينة الطائف والتي تبعد عن مكة المكرمة 100 كيلومترا والتي مثلت على مدى التاريخ أحد أهم المصادر الغذائية لمدينة مكة فتدل العديد من الشواهد والروايات التاريخية على التقدم الزراعي الذي وصلت إليه الطائف وما حوته من مزارع وبساتين، يصف الدكتور طارق السويدان رحلة الرسول لدعوة أهل الطائف للإسلام وكيف طارده أهل الطائف بالحجارة والشتيمة ويصف احتفاء الرسول ﷺ منهم بدخوله إلى بستان يملكه اثنان من عرب الجاهلية هما عتبة وشيبة بن ربيعة وتستره عن أعين ملاحقيه خلف جدار البستان أسفل عريشه للعنب وكيف جاءه خادم البستان النصراني بقطف من العنب، (السويدان، 2006، ص:1).

الحديقة في الاسلام

المدينة المنورة

المدينة المنورة

وعلى عكس مجتمع مكة المعتمد على الحجيج والتجارة الخدمية كان مجتمع المدينة المنورة مجتمعا زراعيا تجاريا، مؤلفا من عدة تجمعات سكنية للقبائل المختلفة والمتصارعة في حينه يجمعها في الوسط البساتين المزروعة بالنخيل والتي كانت تشكل عماد اقتصاد المدينة المنورة " يثرب"، ويقول د.عبد الباقي إبراهيم: " هكذا كانت عاصمة الدولة في الإسلام مكونه من حوالي عشرين مجاورة سكنية متباعدة يفصل بينها مساحات كبيرة من الأراضي الفضاء، وأقيمت جميعها على جانبي وادي بطحان ووادي مذينب ".(إبراهيم،1993،ص: 50).

الحديقة الاموية

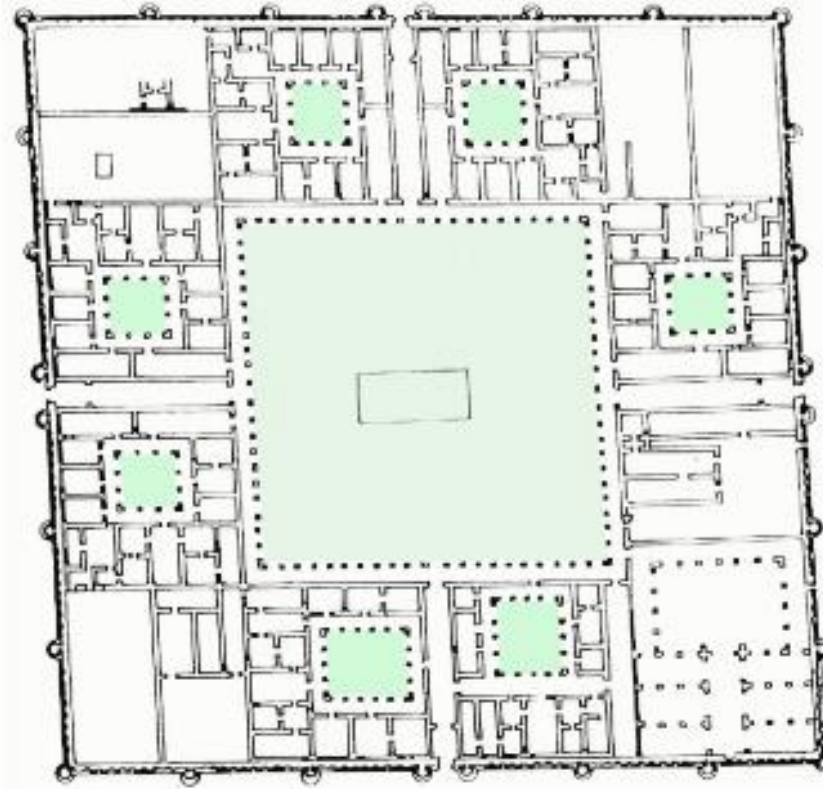
750-661

الحديقة الاموية

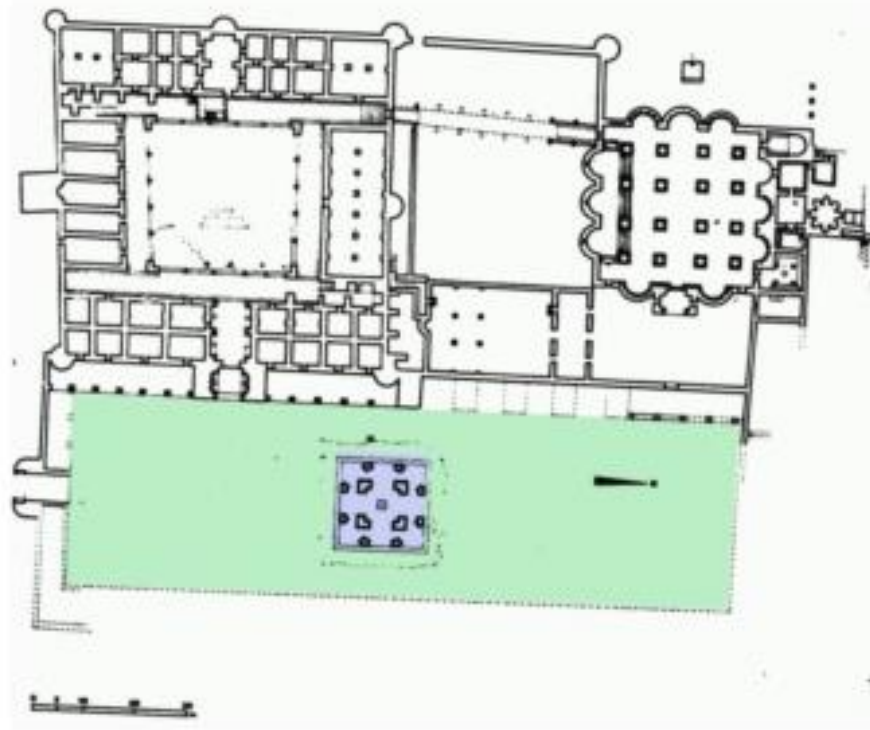
750-661

يعاني الباحثون في مجال الحديقة في الفترة الأموية من " ندرة المعلومات وعدم وضوحها"،
(Strika , 1986,P.P: 72-75) ،وذلك نتيجة للتدمير الممنهج لبقايا القصور الأموية في الفترة العباسية
والإهمال وعوامل التلف الطبيعي على مدى العصور، وشهدت الفترة الأموية فترة ازدهار معماري
وحضاري واقتصادي تلا فترة التوسع المضطرد لحدود الدولة الإسلامية في فترة الخلافة الراشدة التي
كرست جهودها في زرع وتثبيت الإسلام في تلك المناطق، كما شهدت انتقال عاصمة الخلافة من
المدينة المنورة إلى دمشق الغنية بأنهارها وطبيعتها الساحرة (غوطة دمشق) والغنية أيضا بتراتها
المعماري .

وبالنظر إلى المسقط المعماري الذي بينته الحفريات الأثرية لقصر الحير الشرقي نجد أنه مؤلف من حصن محاط بجدار دفاعي مع فناء مركزي بالوسط محاط برواق معمد ومسقوف تحيط به مجموعة من الوحدات السكنية عبارة عن منازل ذات فناء مركزي مفتوح، بما يشكل فهما جيدا للبيئة المحيطة، وتحقيقا للخصوصية، وأحد أنماط الحداثق الإسلامية كما سنلاحظ لاحقاً.



كما تظهر الحفريات الأثرية بقايا قناة مائية مفتوحة استخدمت لإحضار المياه إلى القصر من نبع عين الديوك وعين النعيمات الواقع على بعد 8 كلم من القصر، (Creswell ,1969,P.P:++).



شكل (1-3): مخطط خربة المفجر، ويظهر فيه الفناء المستطيل والبركة المربعة في وسطه.

المصدر: (Hoag ,1977,P:29) بتصرف.



صورة للفسيفساء التي تغطي أرضية غرفة الديوان في حمام خربة المفجر،

تميزت الحديقة الأموية

وما يميز الحديقة في الفترة الأموية عما سبقها من المراحل الإسلامية هو الاتجاه نحو الحدائق ذات أغراض المتعة والاستمتاع بالجمال (Ornamental) إلى جانب الحدائق ذات الأهداف الزراعية لأول مرة وهو الأمر الناتج عن التوسع المطرد لحدود الدولة الأموية وما رافقه من ازدهار اقتصادي وثقافي على الرغم من بعض فترات الاضطراب السياسي الناجمة عن الصراع الأموي العباسي.

الحديقة العباسية

969-750

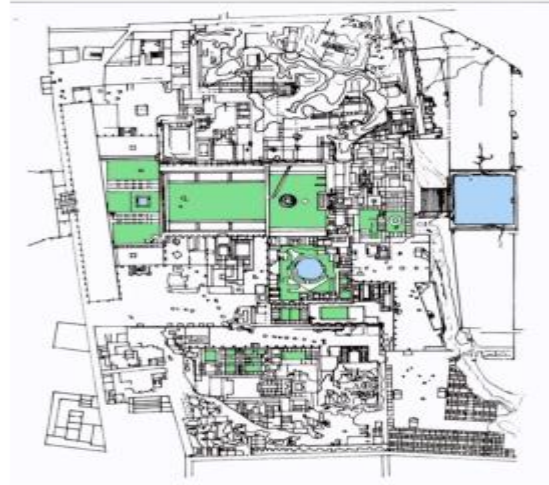
شهدت الفترة العباسية انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد بنواتها الأولى مدينة السلام المدورة التي بناها الخليفة العباسي المنصور، وقد شهدت هذه الفترة ازدهارا علميا عم مختلف المجالات فأصبحت بغداد آنذاك عاصمة العالم العلمية والفنية.

وقد انسحبت هذه القدرة الهندسية على الحقائق التي ازدهرت في العصر العباسي واكتسبت أبعاداً ومفاهيم جديدة، تظهر آثار مدينة سامراء احتواء المدينة على العديد من الحقائق والتي بنيت في إطار الفناء الداخلي كما تظهر الحفريات الأثرية، يصف هوج (Hoag) سامراء بأنها " كانت تحوي قصور الخليفة وتكنات الجيش والأسواق والمسجد الجامع وعدد كبير من الحقائق والبيوت الخاصة الموزعة بشكل غير متساوي"، (Hoag,1977,P:42).

إلا أن التطور الكبير الذي طرأ على عمارة الحقائق هو ما تظهره آثار قصر الجوسق الخاقاني الذي بناه الخليفة المعتصم في سامراء، فقد ظهرت فيه الحديقة لأول مرة بمقاييس كبرى لم تعهد من قبل، حيث تظهر الحفريات الأثرية أن مساحة قصر الجوسق الخاقاني بلغت 432 هكتاراً (Acers) منها 172 هكتاراً بمثابة حدائق . (Hoag,1977,P:48).

قصر جوسق الخاقاني

ويصف رجلز (Ruggles) حدائق قصر الجوسق الخاقاني بقوله: "لقد تم وضع القصر على أرض مرتفعة بحيث يسمح بإيجاد اتصال بصري مع الطبيعة الخارجية، ويتيح صرح البوابة الضخمة في الناحية الغربية للجوسق رؤية البيئة الخارجية، كما تم تنظيم القصر على محور طولي يبدأ من البوابة المكونة من ثلاثة أوابين والتي تقود شرقاً إلى باقي القصر والمفتوحة غرباً على درج ضخم يرتفع بميل مناسب 17متراً عن بركة كبيرة محاطة بحدائق من الجانبين بينما كانت تنتصب على الضفة بين البركة والنهر مقصورة (Pavilion) مع إطلالة على كل من النهر والبركة والطبيعة المحيطة".



(5-): مخطط قصر الجوسق الخاقاني،

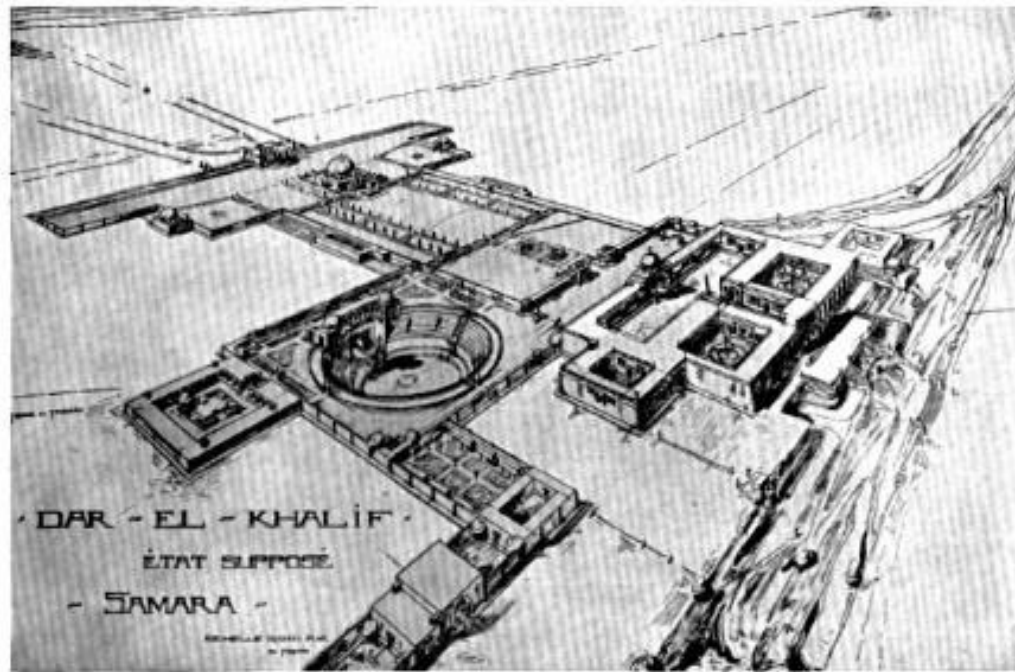
المصدر: (Strika, 1986,P: 47) بتصريف.

خصائص الحديقة لدى المسلمين وعناصرها المعمارية والوظيفية

خصائص الحديقة في المجتمعات المسلمة

يرى كويل الحديقة على أنها " فن رفيع ناتج من فعالية وجهد العقل و العواطف و اليد البشرية (المهارات الحرفية) " ويضيف " أن الخلاف الحاصل في تصميمها من منطقة الى أخرى يعتمد على الاختلاف في العناصر السابق ذكرها " . (Cowell , 1978,P:8).

ويضيف رجلز: " توفر البوابة المكونة من ثلاثة أواوين إطلالة مركزة على البركة والحدائق التي أبرزت بها الطبيعة بشكل حميم، كما توفر إطلالة بنورامية على النهر والبيئة الريفية المحيطة، حيث يعمل التراس والبوابة كمنصة للنظر (Mirador) والحديقة والبركة كعناصر وسيطة في المشهد"، (Ruggles,1990,P:75).



شكل (1-6): منظور تخيلي لما كان عليه القصر وفقا للحفريات الأثرية ،

المصدر : (Gothein, 2001,P:3)

الحديقة الاندلسية

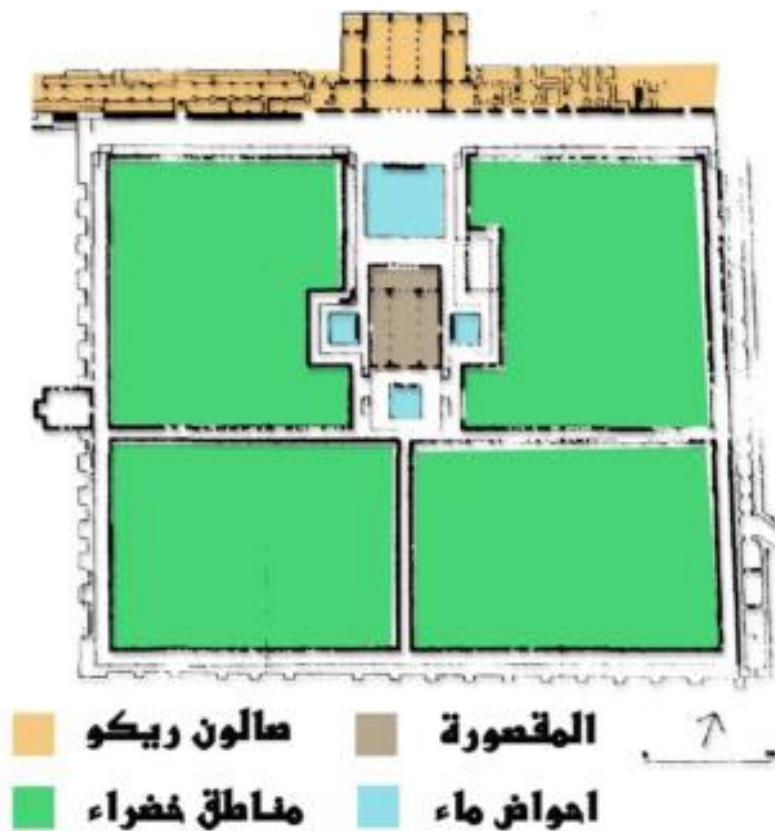
رياض تعشقها سندس	توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربا	لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة	وكل طريق إليها سقر

الاندلس

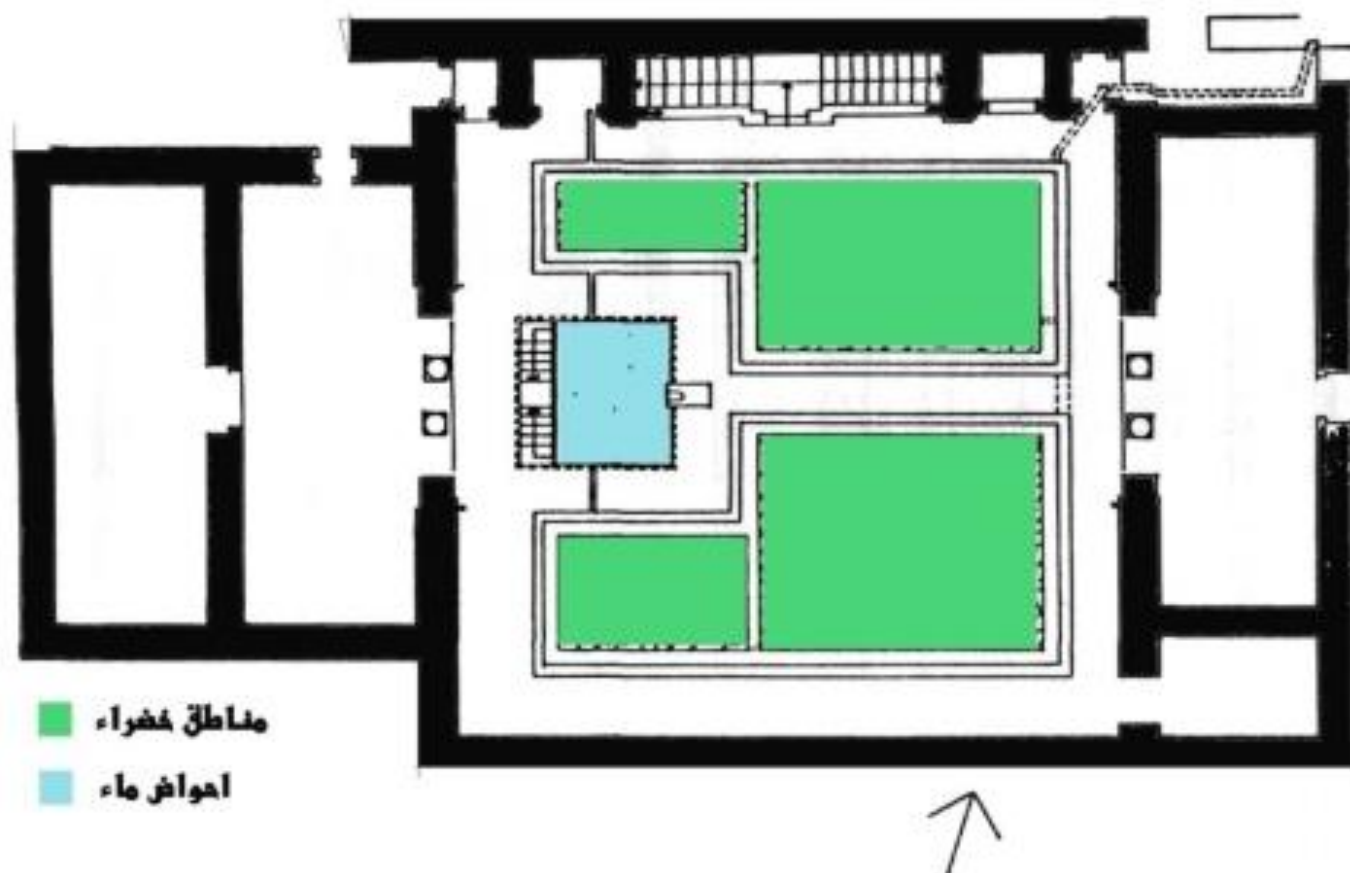
تمكن المسلمون من فرض سيطرتهم الكاملة على معظم الساحل الأيبيري بحلول بداية القرن الثامن الميلادي، وأتاح هذا الأمر للحضارة الإسلامية في الأندلس التطور والازدهار بعمائرها ومساجدها وجامعاتها وعلومها، لتصل إلى ذروتها في القرن الثالث عشر الميلادي، لتصبح منارة لأوروبا التي كانت لا تزال غارقة في عصورها المظلمة، ودفع ذلك العديد من المؤرخين إلى وصف عاصمتها قرطبة بعاصمة أوروبا الثقافية والعلمية في حينه .

مدينة الزهراء

وتمثل مدينة الزهراء أحد أهم الأمثلة التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان على عمارة القصور الأموية في الأندلس بنيت مدينة الزهراء على منحدر جبلي، سبع كيلومترات إلى الغرب من قرطبة، وبدء العمل بها في حدود عام 936م، ويتيح موقع القصر المجال لاستكشاف المناظر الطبيعية التي تحيط بالموقع، بما يشابه مع القصور العباسية في سامراء التي سبق ذكرها، يرى فرينشارد رجليز " أن مدينة الزهراء تأثرت منذ البداية بطبيعة القصور العباسية وذلك جلي عند مقارنة مخططات مدينة الزهراء بمخططات قصري الجوسق الخاقاني وبلكوار في سامراء ". (Ruggles,1990,P: 73)



شكل (8-1): مخطط الحديقة العليا في قصر الزهراء ،
 المصدر: (Ruggles,1990,P: 77) بتصرف.



شكل (9-1): مخطط حديقة الأميرات في قصر الزهراء ،
المصدر: (Ruggles, 1990, P: 80) بتصرف.

الحديقة في الاندلس في عهد ملوك الطوائف

في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي نشبت الحروب الأهلية في الأندلس مؤذنة بنهاية الحكم الأموي للأندلس ونشوء ما عرف بدول الطوائف المتناحرة، وتبع ذلك انتقال العاصمة من قرطبة إلى اشبيلية، وقد أدى التنافس بين الملوك والأمراء المتناحرين على أبراز السلطة والمال إلى تطور الفنون والحرف المختلفة ، هذا الأمر الذي انعكس على الحقائق، حيث ازداد الاهتمام بها و لم تعد مقصورة على الملك وحاشيته، بل تعدتها إلى الوزراء والتجار وأصحاب الإقطاع، وازداد ثراء هذه الحقائق بالنباتات والزخارف والأثاث وشهدت تطورا في المفاهيم.

حديقة الكازار

باشبيلية اكبر الحدائق ذات الطراز الاسلامي المتبقية

ويصف ليرهام القصر والحديقة بقوله: "ضمن القصر هناك العديد من الأفنية المصممة بشكل هادئ وجذاب، وهذه الأفنية محاطة بأروقة معقدة، وفي وسط الفناء الرئيسي توجد بركة منخفضة تضيف عنصر حسي هو صوت الماء بالإضافة إلى ترطيب الجو بقطرات الماء".



صورة لأحد أجزاء حديقة الكازار.

شكل (1-10):

المصدر : (www.spain.info/TourSpain)

وبالعودة إلى المخططات المعمارية والأثرية للحديقة، يلاحظ ارتباط عناصر الحديقة المعمارية مع بعضها البعض بمحاور متعامدة متعددة عبارة عن ممرات مبلطة غير محاطة بالأشجار، والحديقة مقسمة إلى ثلاث أقسام أساسية مقسمة بالتالي إلى عدة مناطق صغيرة.

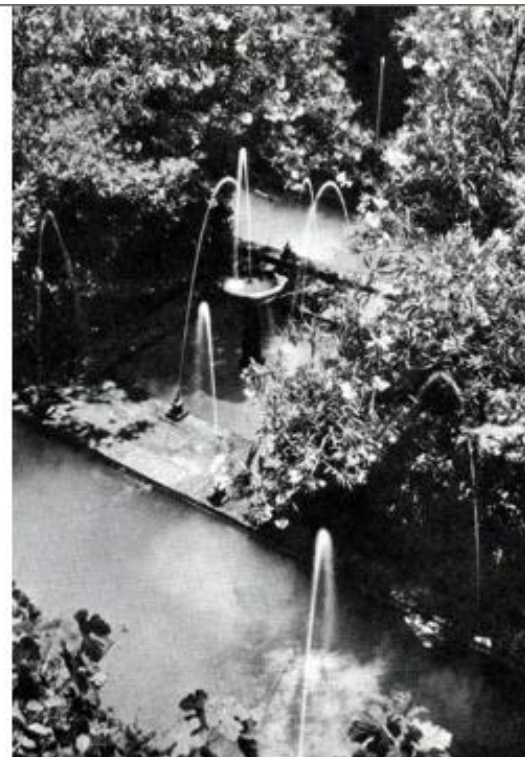


شكل (11-1) : مخطط حديقة الكازار ،

امثلة اندلسية



حديقة القناة كما كانت تبدو في 2004/3/10 ،
المصدر : (<http://picasaweb.google.com>).



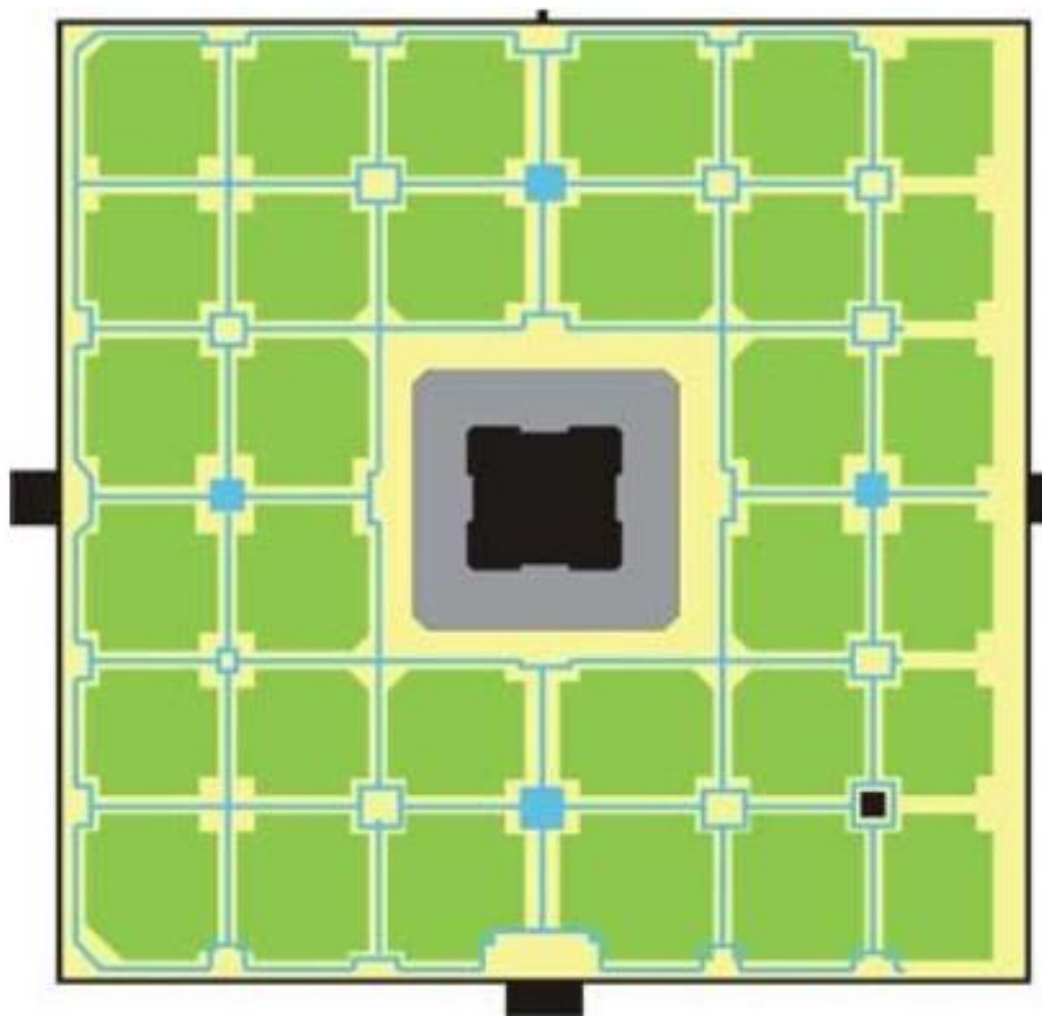
ا: صورة لحديقة الحريم كما بدت عام 1966 ،
المصدر : (Janick, 2005,P:25).

سقوط الاندلس

وبسقوط غرناطة وما تبعه من قسوة محاكم التفتيش الاسبانية، وسياسة التهجير والتنصير التي اتبعتها، انتقل الكثير من الحرفيين والفنانين المهرة من الأندلس إلى شمال أفريقيا (منطقة المغرب العربي) حيث حملوا مهاراتهم وخبراتهم، وبذلك استمرت الحدايق ذات الطراز الأندلسي وتطورت دون تدخل خارجي، وقد ساعد في ذلك بقاء جزء كبير من المغرب العربي خارج سيطرة الإمبراطورية العثمانية .

الحديقة المغولية

ولا شك أن أهم العناصر التي تطورت بشكل كبير في الحدائق المغولية هو الاستخدام المكثف للعناصر المائية خاصة في سهل آجرا، بالرغم من ندرة مصادر المياه الجارية باستثناء بعض الأنهار، الأمر الذي دفعهم إلى استخدام وسائل مختلفة لرفع الماء إلى قنوات الري والبرك، وعلى عكس الحدائق المغولية المبكرة التي كانت فيها القنوات المائية رفيعة وضحلة ومحاطة بمساحات مبلطة عريضة من الجانبين كما في حديقة قبر هميم (Humayum) .



كل (16-1): مخطط حديقة قبر هميم "Humayum"،

المصدر: (<http://www.gardenvisit.com>)

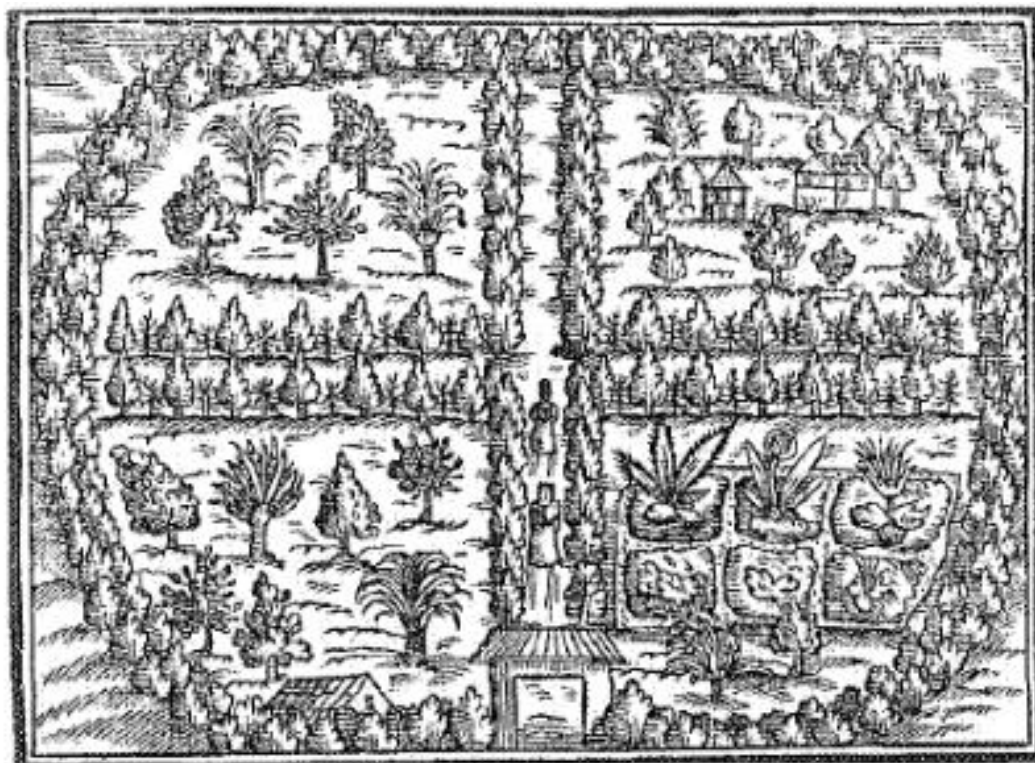


مكل (17-1): حديقة قبر "Humayum" (من الضريح بأنتجاه المدخل الرئيسي) ،

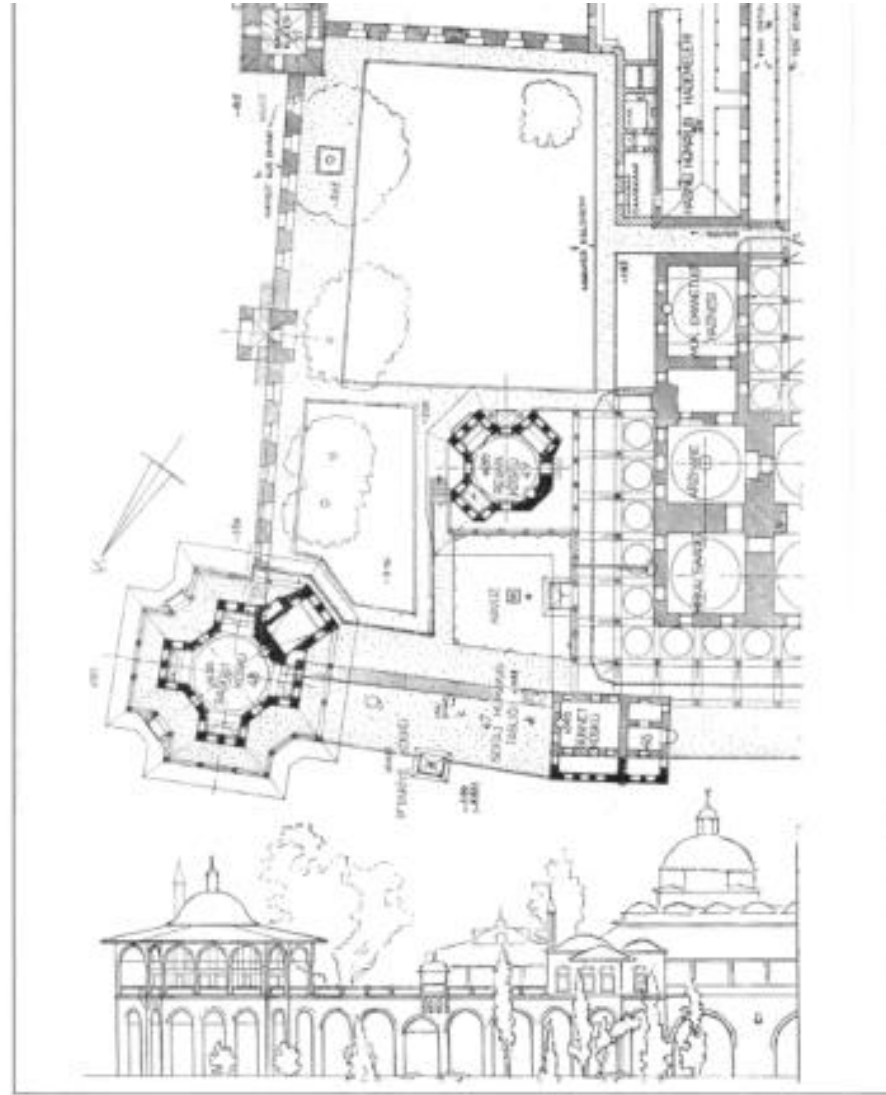
المصدر : (<http://ira.informatik.uni-freiburg.de>).

الحديقة العثمانية

امثلة عثمانية



18-1: مخطط حديقة (Karabali) ،



: مخطط قصر توباكى (Topaki) ، ويلاحظ بها ضخامة الحديقة التي جاءت على شكل فناء داخلي

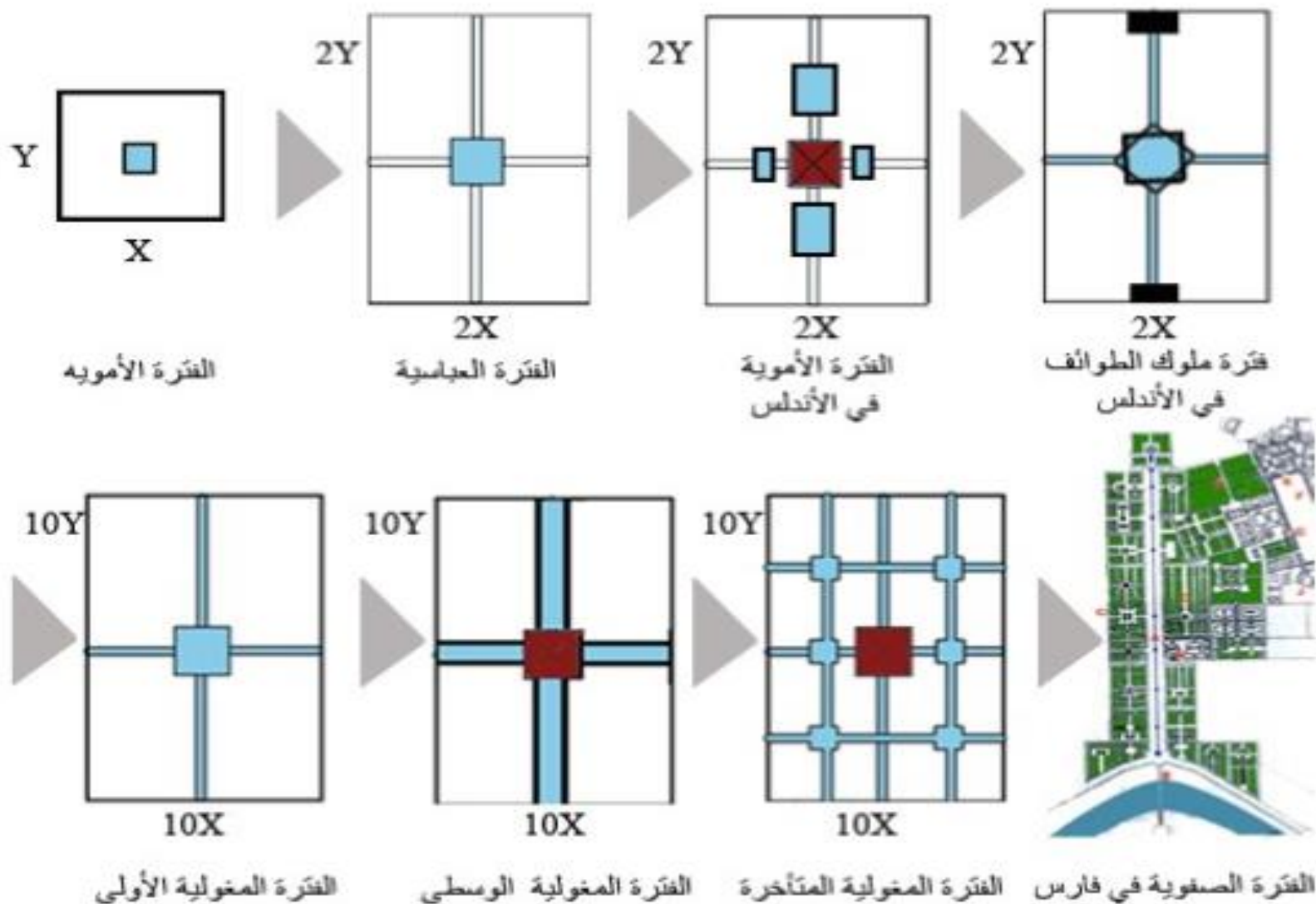
المصدر : (Cerasi,1986, P: 18)

امثلة عثمانية



شكل (1-22): صورة لأحدى نوافير حديقة قصر توباكى،

المصدر : (www.gardenvisit.com)،



شكل (1-24) : رسم توضيحي لتطور الحداث عبر الفترات الإسلامية المختلفة من ناحية القياس و التشكيل،

المصدر : الباحث بتصرف عن مخططات الحداث الواردة في الفصل الأول.

انماط واشكال الحديقة في المجتمع الاسلامي

انطلاقاً من البسائين ذات الأهداف الزراعية في الأساس التي عرفها عرب الجاهلية في الجزيرة العربية تطورت الحدائق في المجتمعات الإسلامية تدريجياً عبر التاريخ وشهدت ازدهاراً في العمران وتطوراً غنياً في العناصر المعمارية وتشكيلاتها وتغيرت وظائفها وتعددت واكتسبت خواص جديدة من أهمها الخصوصية بمستوياتها المختلفة، إلا أن الدارس لهذه الحدائق يلاحظ انحصارها في نمطين أساسيين يتشابهان في العناصر المعمارية ويختلفان في ناحية المقياس وطبيعة الاستخدام، وهما حدائق الأفنية الداخلية والتي تنقسم بدورها إلى ثلاثة أنواع مختلفة هي أفنية البيوت وأفنية المساجد وأفنية القصور، والنمط الثاني هو حدائق المزارع والقصور الكبرى في المقياس والمختلفة في التعامل مع العناصر والوظائف.

1- الفناء الداخلي :

أ - أفنية المنازل السكنية

ب - أفنية القصور

ج - أفنية المساجد

2 - افنية الحدائق الكبرى

أ - الحدائق الملكية والتي تقسم بدورها لنوعين :

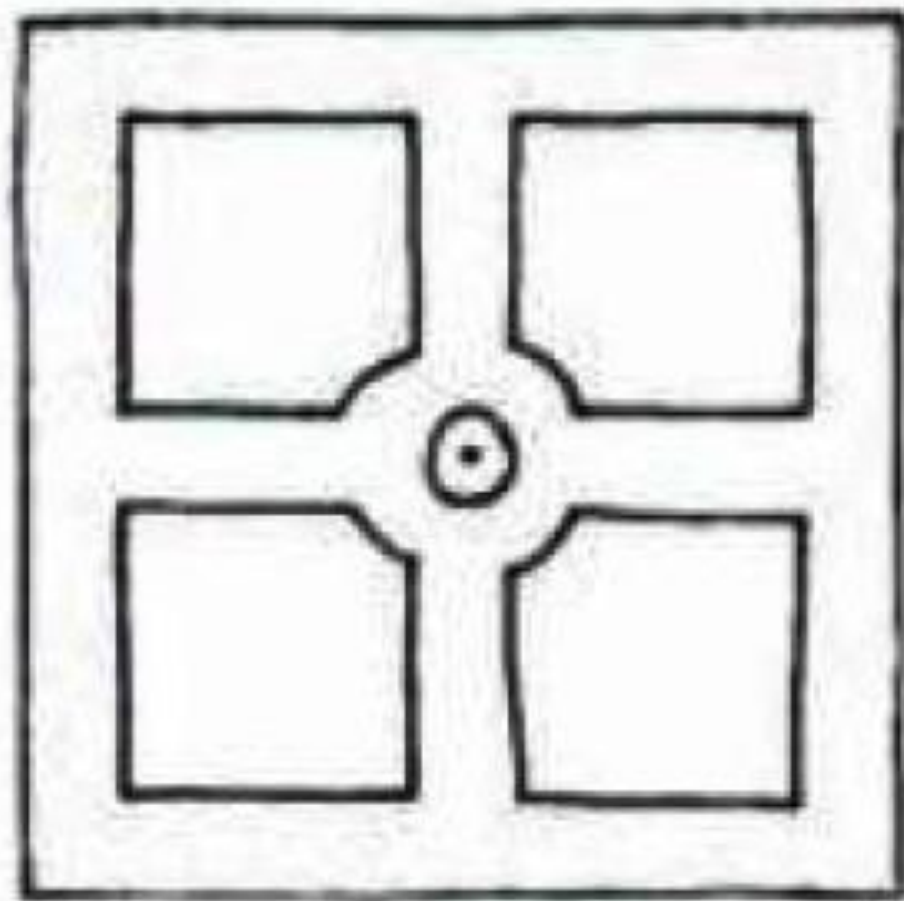
أ-أ حدائق ابراز قوة وسلطة الملوك

أ-ب حدائق المتعة

ب - حدائق المقامات والمزارات

ج - مدن حدائقية

ويشير الفارق بين النمطين جدلاً كبيراً بين العديد من الباحثين إلا أن ليرهام يرى أن: "الحدائق (الحديقة الكبرى) والفناء يتشاطران العديد من الخصائص والعناصر وأنهما يعادلان بعضهما البعض، وأن كلاهما يعكسان أحساساً عميقاً بالمكان". (Lehrman, 1980, P: 34). وهو الأمر الذي يتضح من خلال شكل المخطط المشترك بين النمطين على اختلاف مستوياتهما، حيث تحول المخطط رباعي الأضلاع سواء بالنسب المربعة أو المستطيلة إلى النمط الغالب في تصميم هذه الحدائق، وهو ما يؤكد أنود ماوريز (Arnaud Maurieres) بقوله: "إن المخطط المثالي لحدائق الجنة الإسلامية هو عبارة عن مخطط مغلق في مركزه نافورة تسقي أربع أحواض زهور مربعة يفصلها قنوات مائية أو ممرات معبدة بالطين أو الأحجار". (Maurieres, 2001, P: 15).



المخطط المذالي للحديقة في المجتمعات الإسلامية كما يراه أرنود ماوريز،

المصدر: (Maurieres,2001, P: 15)

الفناء الداخلي (court yard)

يُعود استخدام الفناء الداخلي إلى فترة طويلة قبل الإسلام، فقد ظهر البناء في هذا النمط في معظم الحضارات التي سبقت الإسلام في منطقة الشرق الأوسط، فنرى هذا النمط في تشكيل المباني في الحضارة الفرعونية وحضارة ما بين النهرين وكذلك الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية، ويبدو أن ذلك يرجع إلى نجاعة هذا النمط في عملية التكيف البيئي والتي تتطلبها البيئة القاسية الحارة

تعمق هذا المفهوم في المجتمعات الإسلامية من خلال تطور نسب الفناء وارتفاع المباني والجدران المحيطة به لتحقيق أفضل حماية بيئية وهو ما يؤكد عبد الباقي إبراهيم بقوله: "لقد اكتسب الحوش في العمارة الإسلامية بعدا جديدا وانتظمت العناصر حوله وارتبطت به لتحقيق الاستفادة القصوى من هذا الفراغ، فتصميم المسكن الإسلامي ينبع من الداخل إلى الخارج وبالتالي فقد أنصب الاهتمام والتأكيد على الواجهات الداخلية ويمكن ملاحظة ذلك في التنويع في استعمال الزخارف والحليات حول الفتحات والأبواب بالإضافة إلى التنويع في الفتحات ضمن إطار الوحدة التي أدت في النهاية إلى صورة متكاملة مترنة".

ويضيف إبراهيم: " لم يتوقف التشكيل على السطح الخارجي ولكنه تعداه إلى التشكيل بالكتل بإبراز ورفع وخفض بعض العناصر وبذلك تم الحصول على صورة متغيرة ومتنوعة مع استخدام أمثل للظلال والإضاءة". (Ibrahim,1998,P.P:10-13)، ولعل أهم إضافة قام بها المسلمون على تركيبة الحوش هو التركيز على عنصر الخصوصية الذي حققوه من خلال التلاعب بالكتل والفراغات وأسلوب ربط المدخل بالحوش (الفناء)، وهو ما يؤكد كويل بقوله: " يوفر الفناء الداخلي فراغا يتمتع بالخصوصية والحماية ويمثل الحياة الداخلية للأفراد، ومن الناحية الوظيفية يوفر الإضاءة والهواء البارد للغرف المحيطة به، وحتى أبسط الأفنية يحتوي على قوارير تحوي نباتات أزهار عطرية و شديوان (نافورة)، البركة والظلال وحتى شجرة وحيدة وذلك للرمز لانعكاس الجنة " .

(Cowell , 1978,P: 31) .

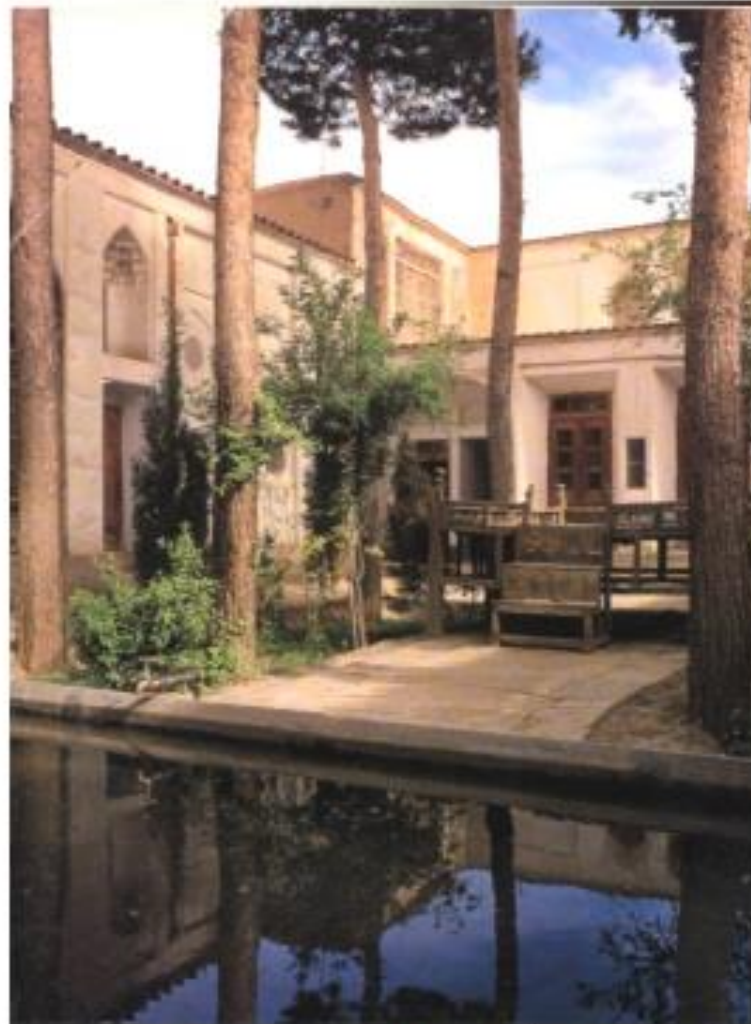
الخلاصة

- ✓ الفناء الداخلي ظهر نتيجة حاجة مناخية وتأقلم بيئي .
- ✓ التعامل مع عمق الفناء وارتفاعه بحسب الحاجة البيئية هذا جعله مختلف النسب من مكان لآخر
- ✓ لقد جعل مركزية هذا الفناء اهمية قصوى لتصميم الواجهات الاداخلية للمنزل الذي يلتف حوله .

أفنية المنازل السكنية

وهو الشكل الأكثر انتشاراً حيث تعتبر البيئة الأساسية في تشكيل البيوت في معظم المجتمعات الإسلامية حيث يتخذ الفناء دور مركز البيت الذي تصطف حوله باقي فراغاته المعمارية ويشكل قلب نشاطات البيت ومكان اجتماع العائلة وملجئها من حر الصيف .

وهو الأمر الذي يختلف من مجتمع إسلامي إلى آخر وفقاً للبيئة المحلية كما يختلف الفناء من ناحية المساحة والغنى بالعناصر المعمارية والتشكيل حتى ضمن نفس المجتمع حيث تلعب عدة عوامل في تحديد أبعاده وزخارفه بدءاً من مساحة قطعة الأرض المخصصة لبناء الفناء إلى عوامل الاقتصاد والسياسة وتوفر المهارات الحرفية .



صورة لفناء أحد المنازل في أصفهان (إيران) يحوي على العديد من عناصر الحديقة الإسلامية،

المصدر : (Grube,1996 , P: 184)



صورة لفناء بيت ملوكي بالقاهرة يظهر فيها التشابه في كثير من العناصر المعمارية واختلاف النسب والمواد عن شكل (2-2) وفقا لاختلاف المعطيات البيئية و الاقتصادية،

المصدر : (Grube, 1996 , P: 185)

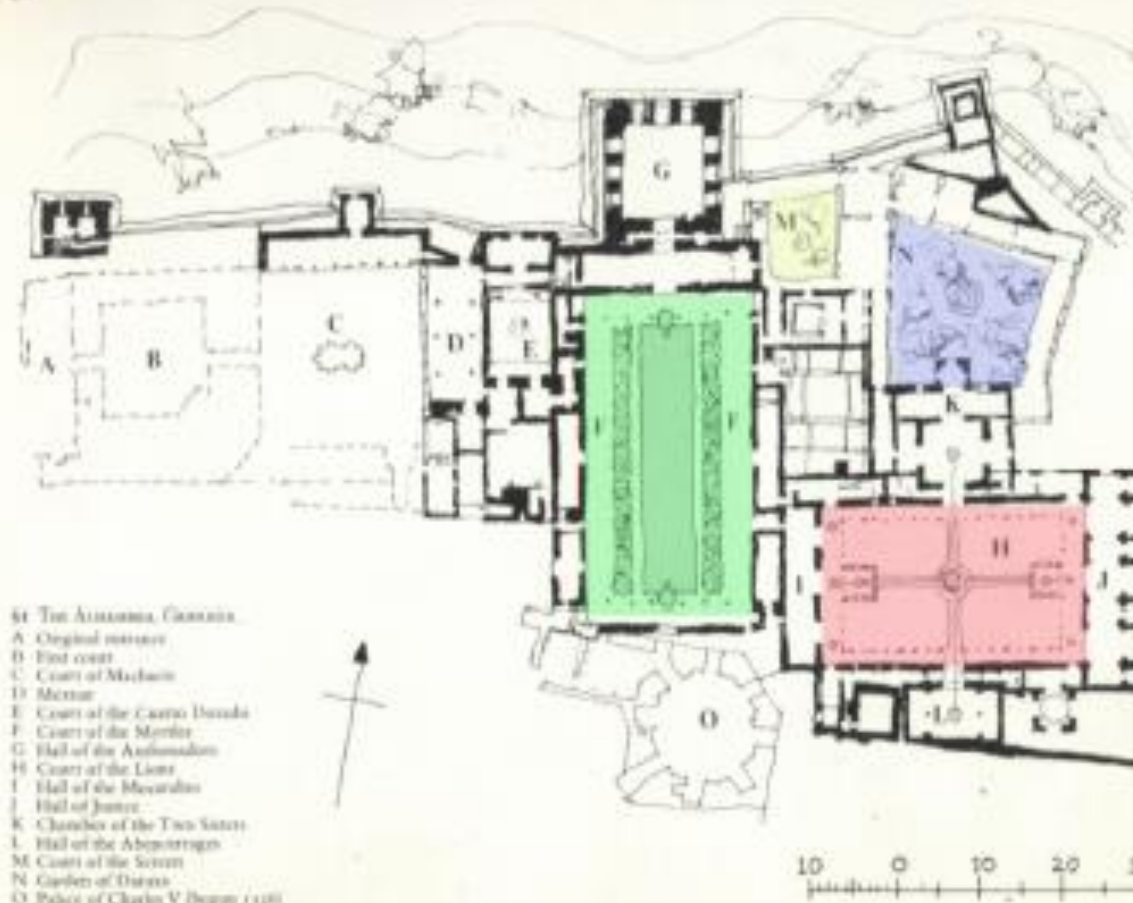
أفنية القصور

تمثل أفنية هذا الشكل قمة تطور حدائق الأفنية في العمارة الإسلامية وبلغت ذروتها في عهد ملوك الطوائف في الأندلس وتتماز باكتمال عناصرها المعمارية وارتباطها الوثيق بالمدلولات الرمزية

بماذا تختلف هذه الافنية الحدائقية عن سابقتها ؟

تعدد الافنية في اطار المبنى الواحد.

حيث في كثير من الأحيان كان القصر يحتوي على ثلاث أفنية على الأقل كما نشاهد في قصر الحمراء في غرناطة حيث خصص احدها للنساء ويمتاز بمعايير خصوصية عالية، بينما خصص الثاني لاستعمال الملك وحاشيته وخصص الثالث لاستعمال زوار الملك من العامة في المناسبات الرسمية .



مخطط لقصر الحمراء يبين تعدد الحدائق والأفنية،

تطور نسبة الطول للعرض والارتفاع .

زيادة مساحته عما هو معتاد في أفنية المنازل
وإغناه بالعناصر المعمارية المختلفة حيث تشكل حدائق متكاملة العناصر ودخلت إليها عناصر غير
معهودة في الأفنية الصغيرة مثل المقاصير الحجرية والقنوات المائية المتعددة والبرك الكبيرة،
ووصلت الزخارف الهندسية الإسلامية فيها إلى أقصى درجات الحرفية والتطور.

- **فناء البركة والمعروف باسم (Court of Myrtles)، وهو أوسع الأفنية ويمتاز بوجود بركة كبيرة مستطيلة تنتهي من الجانبين بنافورتين رقيقتين وبشكل سطح الماء الهادي والمنخفض عن مستوى الممرات المحيطة بها مرآة تعكس تفاصيل البرج والممرات المعمدة التي تحدد الفناء من الشمال والجنوب.**
ويحيط البركة من الجانبين ممران طويلان محصوران بحوضين طويلان مزروعان حاليا بنباتات خاصة (معروفة بميرتل الأسيجة)، ويتميز هذا الفناء بالشمس الساطعة التي توفرها نسب ارتفاع الأبنية المحيطة به، وتصميم هذا الفناء شبيه بنمط الحدائق المغولية الإسلامية في الهند .





صورة لفناء الأسود، وتبدو فيها الأروقة المعمدة المحيطة بالفناء، والمقصورة التي تشكل جزء منها
والشديوان الشهير في الوسط.

أفنية المساجد

لقد أُرْتَبِطَ الفناء بالمسجد منذ البداية وذلك يرجع إلى تصميم المسجد النبوي الذي بناه الرسول الكريم في المدينة المنورة حيث كان عبارة عن فناء مسور من جهاته الأربع وجدار القبلة فيه مغطى بمظلة من أوراق وجنوع النخيل، الأمر الذي تطور تدريجياً ليصبح سمة غالبية في عمارة المساجد الإسلامية حيث تطورت نسب هذا الفناء وتعددت استخداماته، فبعد أن كان يقتصر على إيجاد مكان مخصص للصلاة محمي من العوامل البيئية أصبح يلعب دوراً جمالياً ورمزياً تمثل بتعدد وتنوع العناصر المعمارية فيه .

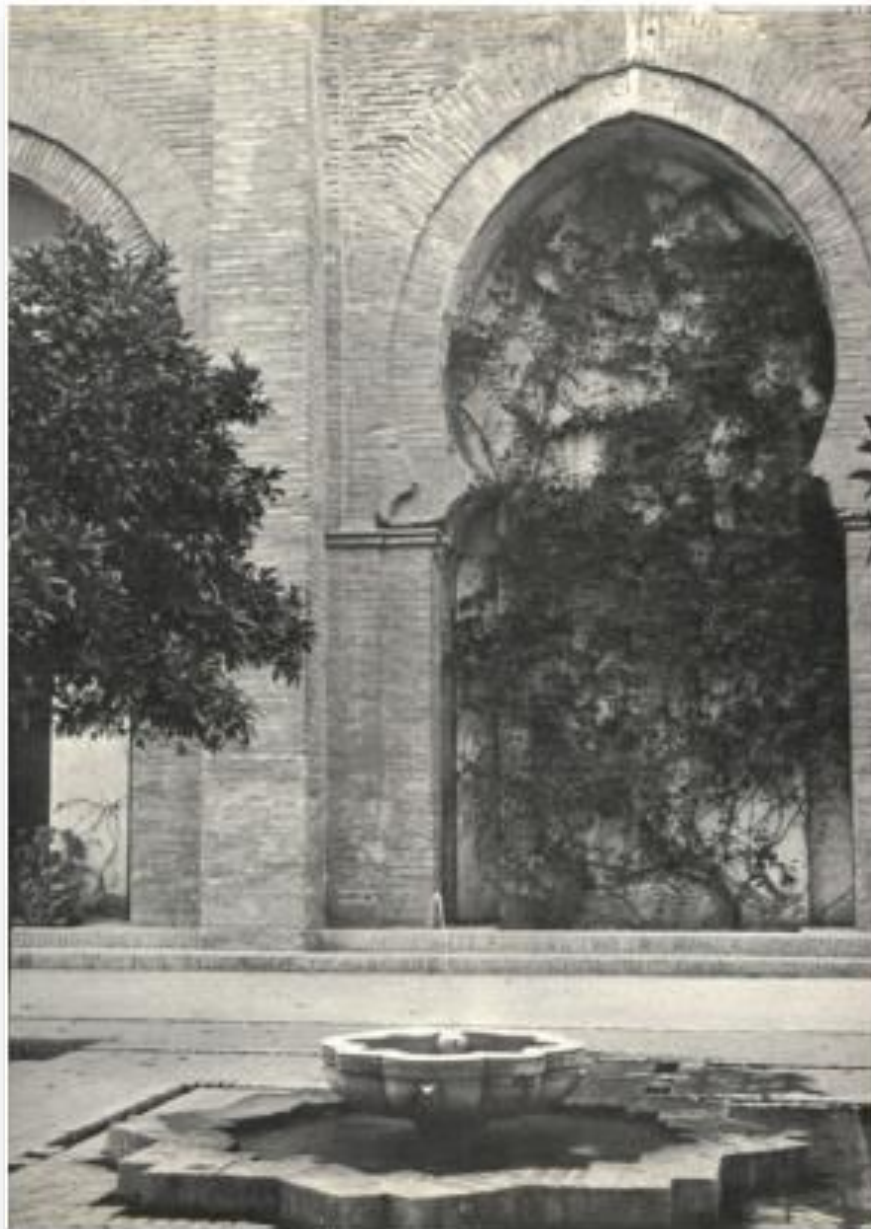
ورغم ذلك بقي فناء المسجد مهيناً للاستخدام العملي في الأساس وهذا ينسجم مع قول ليرهام (Lehrman): "عندما ترتبط الأبنية بالمساجد فأنها ترتبط بوظائف أكثر جدية وأهداف مختلفة تماماً، إلا أنها تبقى مصممة ومنفذة بشكل جيد وهي في الغالب مبلطة وتُحوي حوض للوضوء في المركز"، (Lehrman, 1980, P: 143)



صورة لفناء جامع القرويين (فاس المغرب) ،



11-2 : حديقة البرتقال بجامع أشبيلية الكبير ،



صورة للنافورة في وسط حديقة البرتقال في جامع الشبيلية الكبير،

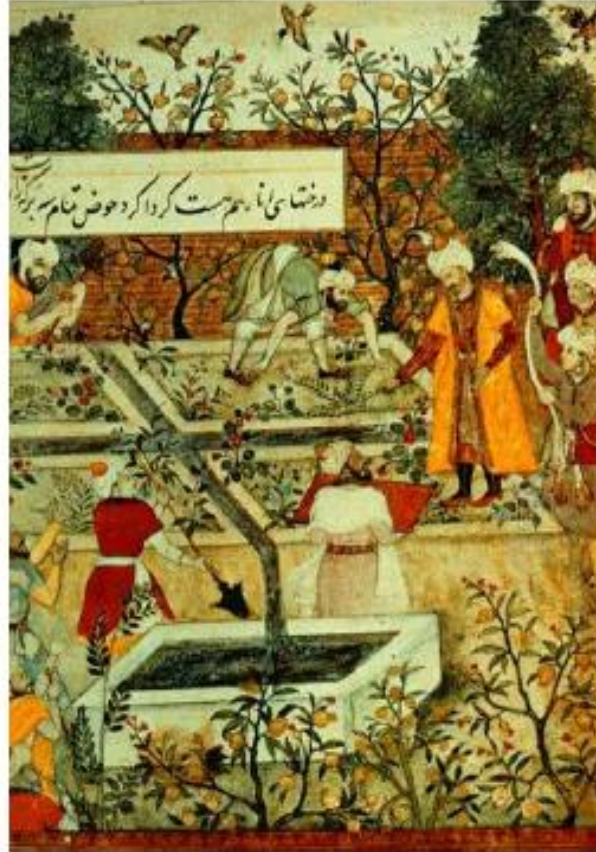
الحدائق الكبرى

لقد بدأ هذا النمط من الحدائق بالظهور في الفترة الإسلامية المتأخرة خاصة في المجتمعات المغولية والفارسية، حيث تطورت الحدائق من ناحية المساحات والمقاييس وخرجت من إطار الأفنية الداخلية وذلك رغم بقائها محاطة بالأسوار والجدران من كافة الاتجاهات، وأصبح المبنى في كثير من الأحيان يمثل مساحة محدودة وصغيرة غالباً في مركز الحديقة بعد أن كانت الحديقة في الأنماط السابقة تشكل جزءاً من المبنى، كما خرج إطار استخدام الحدائق من الخاص إلى العام وشبه العام، حيث أصبحت العديد من الحدائق مكرسة للاستخدام في المناسبات الدينية والشعبية.

الحدائق الملكية

- كانت لابراز سلطو وقوة او تخليد ذكرى .

حدائق خصصت لإبراز قوة وسلطة الملوك وتخليد ذكراهم وكمنح لهم بعد وفاتهم مثل حديقة تاج محل أو لتخليد ذكرى انتصاراتهم العسكرية مثل حديقة (Bagh-i-Vafa) التي بناها الملك بهادر بالقرب من مدينة كابل بأفغانستان. وهو الأمر الذي اكتسب أهمية كبرى لدى ملوك الفترة المغولية حيث تشير المصادر التاريخية إلى قيام هؤلاء الملوك ببناء الحدائق بأنفسهم مما يشير إلى سعة إطلاعهم على الأساليب وتقنيات وثقافات بناء هذه الحدائق وهو ما يتضح من وصف السلطان بهادر لقيامه بإنشاء أول حديقة له في أجر



شكل (2-13) : منمنمة مغولية تعود للقرن السادس عشر تظهر الملك بابر وهو يوجه أعمال البناء في حديقة Bagh-i Vafa.

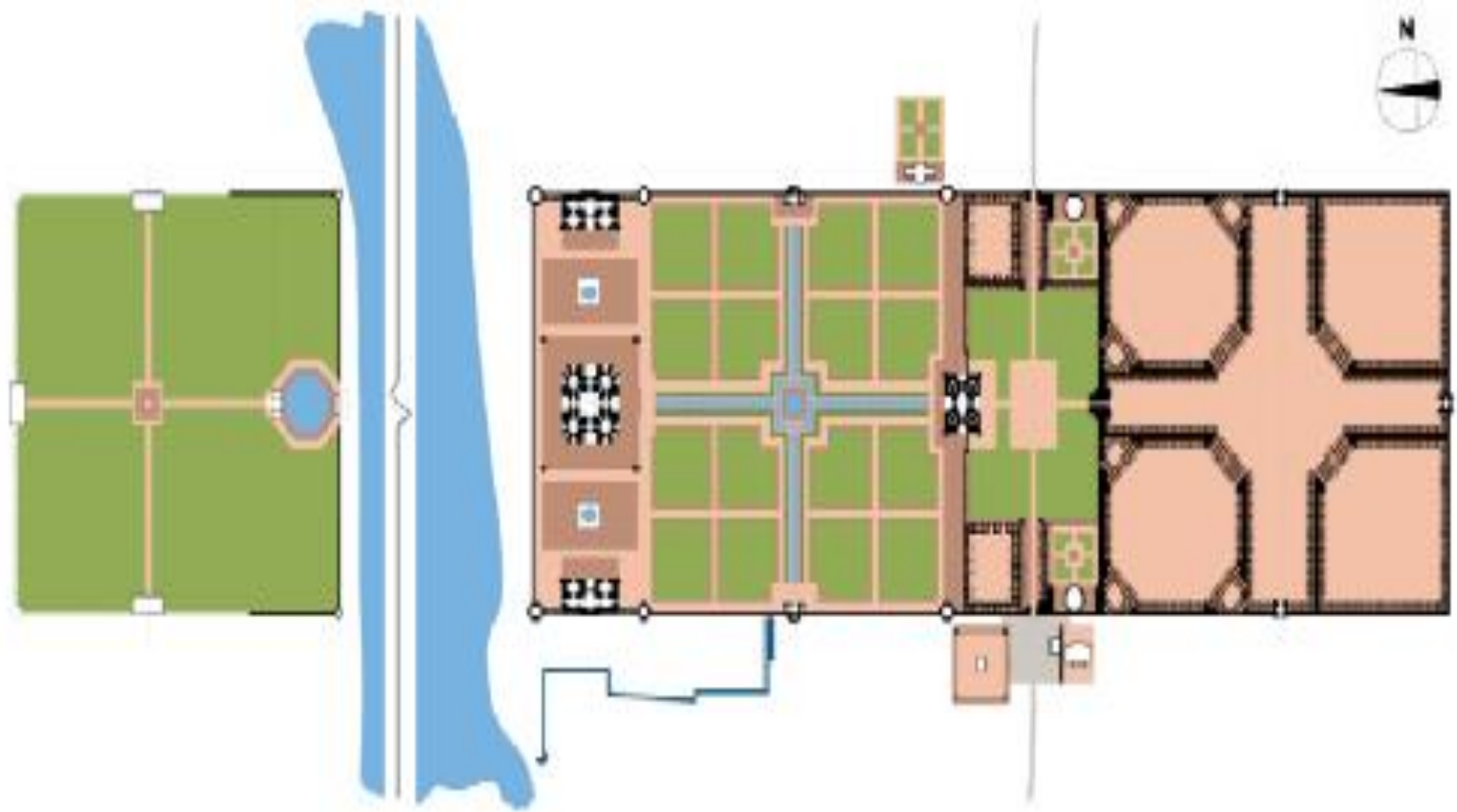
مثال :

تاج محل

حديقة تاج محل رغم أنها تمثل استثناء لعملية وضع الضريح في مركز الحديقة، حيث وضع المبنى في نهاية الحديقة بحيث يظهر في مقابل خط السماء بحيث يقابل الضريح نهر جامو، لقد بنى الإمبراطور شاه جهان مبنى تاج محل تخليدا لذكرى زوجته الثانية المحببة ممتاز محل



صورة لضريح وحديقة تاج محل ،



مخطط حديقة دار مملوك

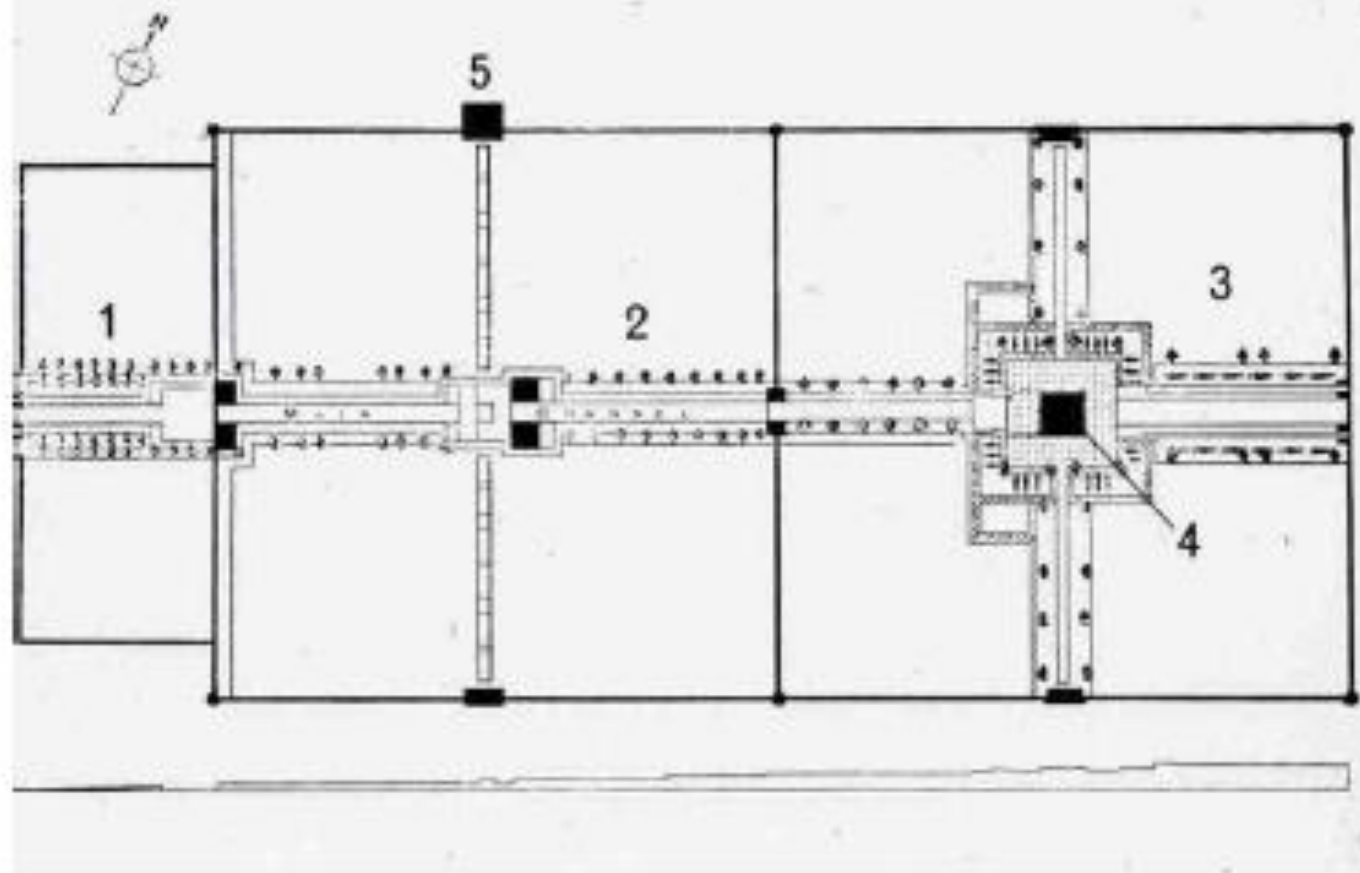
شكل (2-15):

وعند تقاطع القناتين الطولية والعرضية يقع خزان ماء مربع مرتفع مصنوع من الرخام ومحاط من الأربع جهات بمجموعة من الأدرج والمصاعد المتشابهة ويعكس سطح الماء صورة ضريح تاج محل ،والحديقة بشكل عام مقسمة إلى أربع أجزاء بواسطة ممرات مبلطة بالحجر الرملي يمر في وسط كل منها قناة مائية عريضة وضحلة ،والأرباع الأربعة مقسمة بدورها إلى أربع أجزاء أصغر مزروعة بالأعشاب والأشجار القصيرة والعالية ،وتنتشر المقاعد الحجرية والرخامية التي تتيح النظر إلى مشاهد مختلفة، وفي الأصل كان الماء يحضر إلى الحديقة من خلال نظام دلاء حيث كان يرفع بواسطة إلى خزانات مائية على سطح الغرف التي يحويها الجدران المحيطة بالحديقة قبل أن يتم استبدالها حاليا بنظام ضخ آلي.

حدائق المتعة

وهي حدائق بنيت خاصة بالملوك وحاشيتهم حيث مثلت مصيفا لجأوا إليه من حر الصيف، ولذلك بنيت معظم هذه الحدائق في سفوح الجبال والهضاب (خارج إطار المدن و القصور الملكية) حيث يتوفر الماء و الينابيع الجارية والموقع المطل على المناطق الطبيعية المحيطة (وقد ازدهرت هذه الحدائق في الفترة المغولية خاصة في منطقة كشمير بين الباكستان و الهند حيث أبدى ملوك المغول اهتماما خاصا بهذا النمط من الحدائق)، ومما لاشك فيه أن حدائق هذا الطراز جاءت أصغر في المساحة من حدائق الطراز السابق، كما تميزت بالعودة إلى الخصوصية ضمن مفاهيم جديدة تمثلت بالتدرج في مستوى الخصوصية وظهور ما عرف بتراس النساء ضمن نفس الحديقة وهو ما

يُتَّصَح في حديقة أشبال (Achabal) وشلمار باجه (Shalamar) في كشمير المكونتان من ثلاث مستويات متلاحقة مفصولة عن بعضها بأدراج و أسوار الأول فيها لزوار الملك من العامة والثاني يمثل حديقة الملك الخاصة التي يجتمع بها بحاشيته وخاصة والمستوى الثالث العلوي خاص بالنساء ومطل على كافة أنحاء الحديقة وتتميز حديقة أشبال بالإضافة إلى ذلك بشلالاتها العريضة التي تتحدر برفق ضمن عدة تدرجات و يتوسطها المقاصير.



(3-16) : مخطط حديقة سلمان باجه يوضح المستويات الثلاثة المختلفة ،

حدائق المقامات والمزارات

وهي الحقائق التي أنشأت حول المزارات والمقامات الدينية وخصصت في الغالب للاستخدام العام أو شبه العام في المناسبات الدينية و انتشرت بشكل خاص في فارس (إيران) حيث ينتشر المذهب الشيعي الذي يقوم على تقديس الأئمة .

مثال : قدماج

ويلاحظ هذا في حديقة قدماج (qadamgah) بمعنى القدم ،والتي تقع على بعد 25 كلم من مدينة نيسابور ويعود اسمها إلى حجر أسود موجود فيها يحوي على ما يعتقد من قبل العامة أنه آثار أقدام الأمام (REZA) ثامن خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفقاً للمذهب الشيعي، ويؤكد دانيش دوست (Daneshdoust) أن الإمام (REZA) قد قدم إلى المكان خلال جولة له في مدينة مشهد وقام الناس بحفر آثار أقدام على الصخرة تكريماً له، وبعد عدة سنوات تم بناء هذه الحديقة تكريماً له، وتتكون الحديقة من 3 أجزاء أساسية أولها المقام والفراغ المستطيل المحيط به والمقدر ب 115X 102م ومحاط بالأسوار، ويحوي قناة مائية تروي الحديقة تدخل من خلف المقام وبعد أن تملأ بركة مستطيلة بأبعاد 16X 13 م (وتستخدم كخزان للماء) يمضي الماء في عدة قنوات تصب في أربع برك أصغر منها موزعة حول مبنى المقام وموزعة على طول المحور الرئيسي للحديقة.

وأجزاء الحديقة المختلفة تقع على أرض مائلة وغير مستوية ولذلك تم تشكيلها من عدة مستويات ترتبط مع بعضها بأدراج، ويقع مبنى المقام المزين بالفخار المزجج (القاشي) بالقرب من مركز هذا الجزء من الحديقة على امتداد المحور الأساسي، وزرعت هذه المساحة بالعديد من الأشجار وتحتوي على نبع طبيعي يعتقد الشيعة بقديسيته والحديقة في هذه المنطقة بسيطة جداً وذلك يعود إلى أن معظم الزخارف والاهتمام موجه لمبنى المقام ومحيطه.



شكل (2-17): صورة لضريح قداماج، توضح مدخل الضريح الذي بشكل مقصورة كبيرة في وسط الحديقة،

المصدر: (www.neyshaburian.blogfa.com)

المدن الحداثية

ظهر هذا النمط من تخطيط المدن في الفترة الإسلامية المتأخرة ومن أهم الأمثلة عليه مدينة أصفهان في إيران (بلاد فارس) والتي لا يزال تخطيطها الأصلي بارزا للعيان رغم ما جرى عليه من تعديلات خلال الفترات اللاحقة، وعلى ما يبدو لم تكن مدينة أصفهان حالة فردية خاصة من ناحية تخطيطها الحدائقي بل كانت ضمن نمط معماري تكرر في أكثر من مدينة إسلامية مثل مدينة احمد آباد التي بناها السلطان المغولي احمد شاه في عام 1411 م لتكون عاصمة إقليم غوجرات الهندي، إلا إنها تعرضت للتدمير خلال الحروب المختلفة التي مرت بالمنطقة ولم يبق من أثرها سوى الوصف في كتابات الرحالة والمستشرقين. (Brahmbhatt, 1986,P.P:38-41).

تحتوي النهاية الغربية من أصفهان والمعروفة بمنطقة ناظر غريب (Nazer Jereeb) حديقة هي وفقا للسير هيربرت تستحق شهرتها، وإذا أردت التوجه من الميدان إلى هذه الحديقة فأنتك تمشي في شارع وحيد (جادة بعرض 50 م) عبارة عن حديقة على طراز الشرباجة والذي وفقا للسير هيربرت يتشابه كثيرا في عرضه مع شارع (Holborn) في لندن، وهو في نظره ما يؤكد التأثير الأوروبي على مخططي هذه المدينة .





شكل (2-22): مخطط جادة ناظر غريب في مدينة أصفهان،

العناصر المعمارية وميزات الحديقة الإسلامية

تميزت الحديقة الاسلامية

- أ- عقل وشخصية الإنسان المسلم .
- ب- المدلول والبعد الفلسفي والرمزي الذي يعطى العمل الفني أو المعماري للحدائق تميزه.
- ت- الأشكال المستخدمة بتصميم الحدائق الإسلامية. (Grabar,1987,P.P.: 6-18)، ويتضح ذلك

الاشكال المستخدمة بتصميم الحدائق

➤ وحدة الطابع المعماري.

رغم كبر التنوع الجغرافي والاختلاف الثقافي والبيئي على مستوى العالم الإسلامي إلا أن الناظر إلى عمارة هذه المجتمعات التي يوحدتها الدين الإسلامي يرى بطلانة دقيقة من التجانس المعماري وتشابهاً في أسلوب التصميم، حيث ينسحب على مختلف إنجازاتها المعمارية ومن ضمنها الحدائق .

يرى أوليغ غرابار (Grabar): "أن الفن الإسلامي هو مجموعة حالات خاصة ذات صفة كونية واحدة "أو على نحو أكثر دقة" أنه يتشكل من عدة مجموعات متميزة ولكنها مجموعات كونية"، (Grabar ,1987,P.P.: 6-18).

بينما يرى المؤرخ الفرنسي جورج مارسيه " أن آثار العالم الإسلامي العمرانية المبنية خلال قرون متباعدة و التي يبعد بعضها عن بعض آلاف الكيلومترات تبدو فيما بينها وكأنها أفراد أسرة واحدة ". (صيداوي ،1992،ص 34).

➤ السعي لتحقيق الخصوصية

وتعتبر الخصوصية أهم العناصر التي نتجت عن الثقافة الإسلامية و اعتبرت إضافة جديدة إلى مفهوم الحقائق البشرية ،وهو ما يؤكد كويل (F.R. Cowell) بقوله : "إن الخصوصية في الحقائق الفارسية كانت نتاجا إما لتأثير التعاليم الإسلامية بعد القرن السابع الميلادي ،أو نتيجة لتقليد محلي عززته ممارسات المسلمين ،حيث أصبحت الحقائق الفارسية بعد هذا التاريخ خاصة جدا وهو التقليد الذي استمر إلى الآن ".(Cowell , 1978,P: 71).

العناصر المعمارية الاساسية

□ السور

أحيطت الحدائق الإسلامية إلا ما ندر بأسوار تعمل على إغلاقها من جميع الاتجاهات وكانت هذه الأسوار تلتف حول الحديقة بالكامل أو تتشارك مع جدران المباني في إغلاق الحديقة وفي بعض الحالات كانت المباني تحيط كلياً بالحديقة من جميع الاتجاهات، ولم يقتصر استخدام السور في إحاطة

الحدائق على طراز معين مثل الحدائق الكبيرة بل أمتد ليشمل الأحواش¹ والساحات الداخلية للمنازل (Court Yards) وحتى حدائق المزارات الدينية والأضرحة، وهو ما يؤكد ليرهام بسرده للعناصر المعمارية التقليدية للحدائق المغولية في الهند بقوله : " أغلقت هذه الحدائق بجدران ضخمة ،تحتوي العديد من التحصينات وذلك لتحقيق الخصوصية والسلام " . (Lehrman, 1980,P: 142).



شكل (1-4) : أنماط مختلفة لإحاطة الحديقة (أفنية) بالجدران و الأبنية لثلاثة منازل بالقاهرة،

المصدر: (Salama ,2006,P: 42)

وظائف السور

✓ تحقيق الخصوصية

أستخدم السور في المجتمعات الإسلامية لتحقيق الخصوصية للسكان من خلال الفصل بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية حيث يؤكد كرزويل (Creswell) ذلك بقوله : "إن استخدام الأسوار و الأبنية والأشجار الطويلة هو عبارة عن شرط مسبق للحصول على الخصوصية التي تشكل عاملا مهما لإطلاق القدرات والخصائص الخفية للروح البشرية " . (Hamed , 1994,P.:4.) .

رمزية السور

وقد جاء استخدام السور في هذه الآيات كأداة رمزية لتحقيق الفصل بين المؤمنين والكفار وبين الجنة وما سواها وهو الأمر الذي يتسق مع نظرة المسلمين للحديقة على أنها ظل للجنة فجاء مفهوم استخدام السور كأداة للفصل بين الحديقة التي تمثلها وبين الحياة الدنيا التي تمثلها الشوارع والمحيط الخارجي، ويؤكد ليزك (Lesiuk) ذلك بقوله: "إن إغلاق الجنان الأرضية بالأسوار والمباني تحركاً مجازياً لاستدعاء طابع الجنة في الطراز المعماري، وأن الصحراء في الخارج تمثل الجفاف والموت بينما تمثل الأزهار والفواكه والظلال والماء والحياة في الداخل الجنة". (Lesiuk,1980,P.P.: 66-68).

✓ حد الملكية

لا شك بأن أحد أهم الوظائف التي يقوم بها السور على امتداد التاريخ هو دوره كحد فاصل للملكية حيث يفصل بين ملكيات الأفراد بالإضافة إلى دوره في تأمين الحماية ومنع الدخول إلى المساحات المسورة .

✓ التكيف البيئي

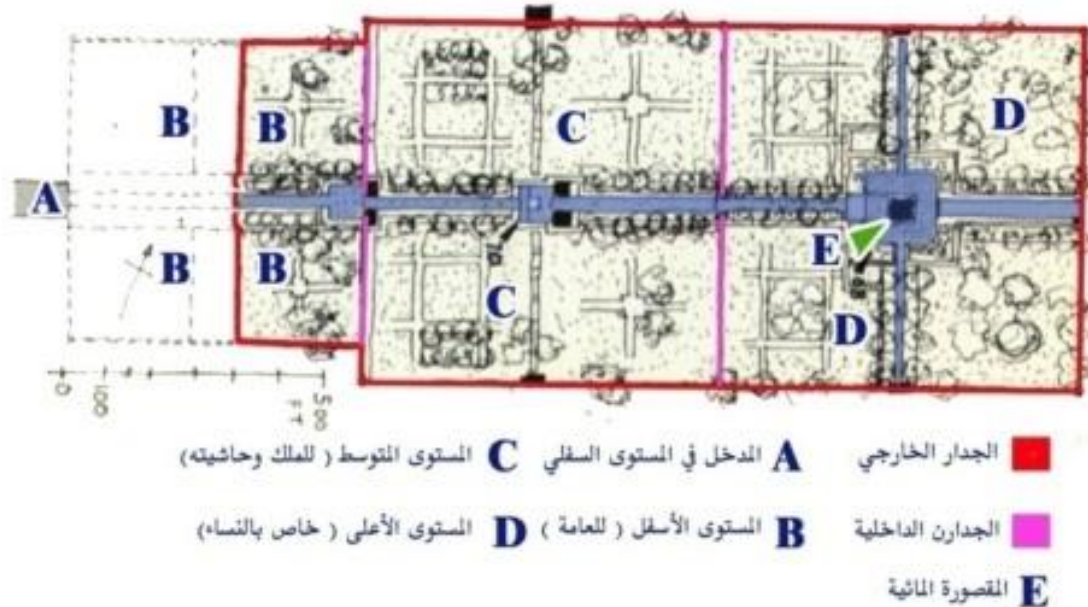
بما أن البيئة المحيطة بالحدائق في غالبية المجتمعات الإسلامية كانت قاسية وجافة فقد كان المسلمون بحاجة إلى عنصر معماري يقيهم العواصف الرملية والرياح الباردة والقاسية وحرارة شمس الصيف، فأتى استخدام السور لتحقيق هذه الغاية، وهو ما يتفق مع وصف الجنة في قوله تعالى:

﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ

ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ۝١٤ ﴾ (76 الإنسان 12-14) .

✓ فصل داخلي لتحقيق التدرج في الخصوصية

أما في حديقة شلمار باجه (Shalamar Bagh) في كشمير، فيتضح من المخططات وجود جدران داخلية ثانوية تفصل الحديقة إلى ثلاث أقسام أولها وهو العام والأصغر مساحة، ثم حديقة السلطان وحاشيته في المستوى الأوسط ثم حديقة النساء في المستوى الثالث .



شكل (2-4) : مخطط حديقة شلمار باجه يوضح الأسوار الداخلية والخارجية ،

المصدر : (Jellicoe , 1975 ,P: 45.)

رمزية التدرج

إيمان المسلمين كما يتضح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ

الْعُلَى ۖ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ﴾ (٧٦) (20 طه 75-76).

ولم تقتصر رمزية التدرج على الرمز إلى درجات الجنة بل يبدو أنها تعدتها خاصة في الفترة المغولية إلى الرمز إلى عدد الكواكب أو حتى عدد أشهر السنة وهو ما يؤكد ليرهام بقوله: "قد تحوي الحديقة المغولية ثمان درجات وهو الأمر الذي يتبع اعتقاد المسلمين بأن الجنة مقسمة إلى ثمان درجات، أو قد تحوي سبع درجات في إشارة إلى عدد الكواكب التي عرفوها بينما احتوت حديقة

نشأت باجه (Nishat Bagh) في كشمير 12 مستوى في إشارة إلى الأبراج الأثني عشر".

(Lehrman, 1980, P.: 142).

□ المقاصير (pavilion)

لقد أستخدم المصممون في المجتمعات الإسلامية منصات مسقوفة من الخشب أو الحجر كانت توضع في نقاط مركزية من الحديقة بحيث تسمح للجالس بداخلها مراقبة ما يجري في أرجاء الحديقة وتحميه من الرياح والشمس وتمنع الآخرين من رؤيته من الخارج وغالبا ما كانت توضع فوق أو بجوار الماء في مركز الحديقة (وسطها) في محاولة على ما يبدو لتحقيق الوصف القرآني للجنة في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ

الْعَمَلِينَ ﴾ (٥٨) (29 العنكبوت -58).



صورة لإحدى مقاصير حديقة قصر توبكاي، تركيا — تمثل المقاصير ذات المنقط البسيط
والمسقف،



صورة للمقصورة العائمة في التراس السادس من حديقة إشبيل
(تمثل مقصورة متعددة الفراغات)،

□ الظلال

لا شك بأن استخدام الظلال والتلاعب بكميات الإضاءة الساقطة على الأفنية، من أهم العناصر التي استخدمها المسلمون في تشكيل حدائقهم في البيئة الصحراوية القاسية المحيطة بمعظم مناطق انتشار المجتمعات الإسلامية، والتي استدعت طريقة لتلطيفها واستحداث نظام تبريد طبيعي من خلال استخدام الأشجار والعرائش بالإضافة إلى تشكيلات المباني والجدران مما يدفع الهواء البارد إلى داخل المنزل عبر الفتحات المحيطة بالفناء، عدا عن تحقيقها الخصوصية لمن بداخل الحديقة من خلال حجبها الرؤية من الأماكن المرتفعة إلى داخل الحديقة .

الحلول التصميمية للظلال

○ استخدام الاشجار



رسم لأحدى باحات قصر الحمراء يوضح أهمية الظلال واستخدام الأشجار للحصول عليها.

المصدر: (De Prangey ,1996,P:50).

○ استخدام العرائش

واستخدام العرائش في حدائق المجتمعات الإسلامية من ناحية وظيفية جاء على ما يبدو مرتبطاً بوصف العرائش في الجنة الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (6) الأنعام (141-).



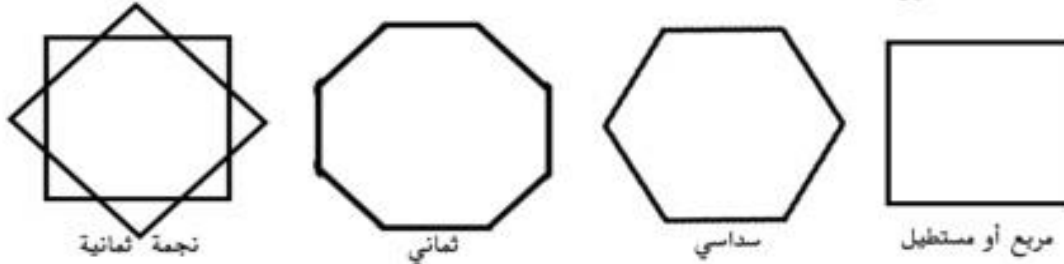
: رسم لحديقة القناة في قصر الحمراء يوضح العرائش،

المصدر : (De Prangey ,1996,P : 53)

الماء الجاري

لقد أستخدم المسلمون العنصر المائي على جميع المستويات فلا نكاد نجد حديقة صغرت أو كبرت ألا والعنصر المائي موجود بها، ولقد تطور استخدام هذا العنصر على مدى تاريخ الحضارة الإسلامية، ففي ساحات البيوت الصغيرة (Court Yards) تم استخدام الشدروان (نافورة ماء صغيرة) تتوسط الباحة الخارجية (الحوش)، حيث اتخذت أشكالا متعددة بدءا من الشكل المربع أو المستطيل إلى الشكل السداسي الأضلاع والدائري إلى الشكل الثماني الأضلاع والنجمة ثمانية الرؤوس الناجمة عن تداخل مربعين ببعضهما ولقد اكتسب التشكيلين الأخيرين أهمية خاصة لدى المصممين في العمارة الإسلامية لتضمينهما مفهوما رمزيا يرتبط بعدد أبواب الجنة الثمانية.

اشكال الشدروان :



شكل (3-8) : الأشكال الهندسية المختلفة للشدروان،

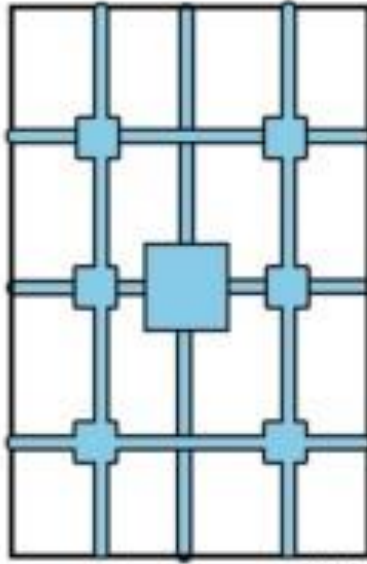
المصدر: الباحث.

حدائق القصور

أما في حدائق القصور فتم استخدام قنوات ومسطحات مائية، وفي كثير من هذه الحدائق كان يتم قسمة سطح الحديقة إلى أربع أجزاء بواسطة قناتين مائيتين أو مسطحين مائيين يتقاطعان في الوسط بواسطة بركة أو نافورة (وهو ما عرف من قبل عدد من الباحثين بطراز الشارباجة) وذلك وفقا لتوفر الماء وتقنيات رفعه وضخه في البيئة حيث انه في بلاد فارس والعراق اقتصرت على قنوات

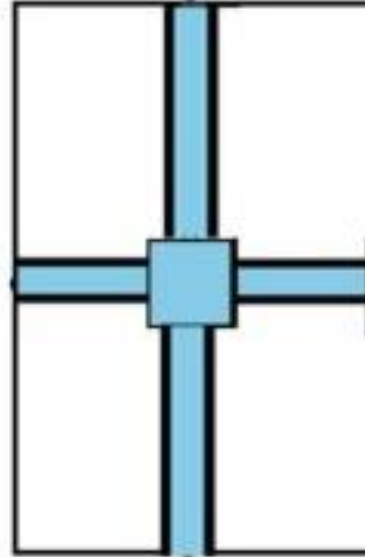
رفيعة بينما في الفترة المغولية المتأخرة في الهند استخدمت المسطحات المائية العريضة التي تحدها ممرات للمشى مع نافورة في الوسط أو بركة .

وهذا التصميم ينسجم مع قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۚ﴾ (47 محمد - 15)، حيث تصف هذه الآية وجود أربع أنواع من الأنهار في الجنة رمز المصمم المسلم أليها بأربع قنوات مائية .



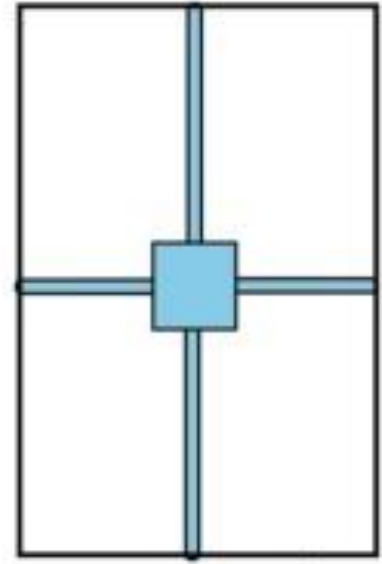
النمط الثالث :

بركة في الوسط ومجموعة من القنوات المتعامدة التي تلتقي بناقورة أو بركة صغيرة (نمط متأخر لعبارة الحدائق في الفترة المغولية)



النمط الثاني :

بركة في الوسط وقناتان مائيتان متعامدتان وعريشتان



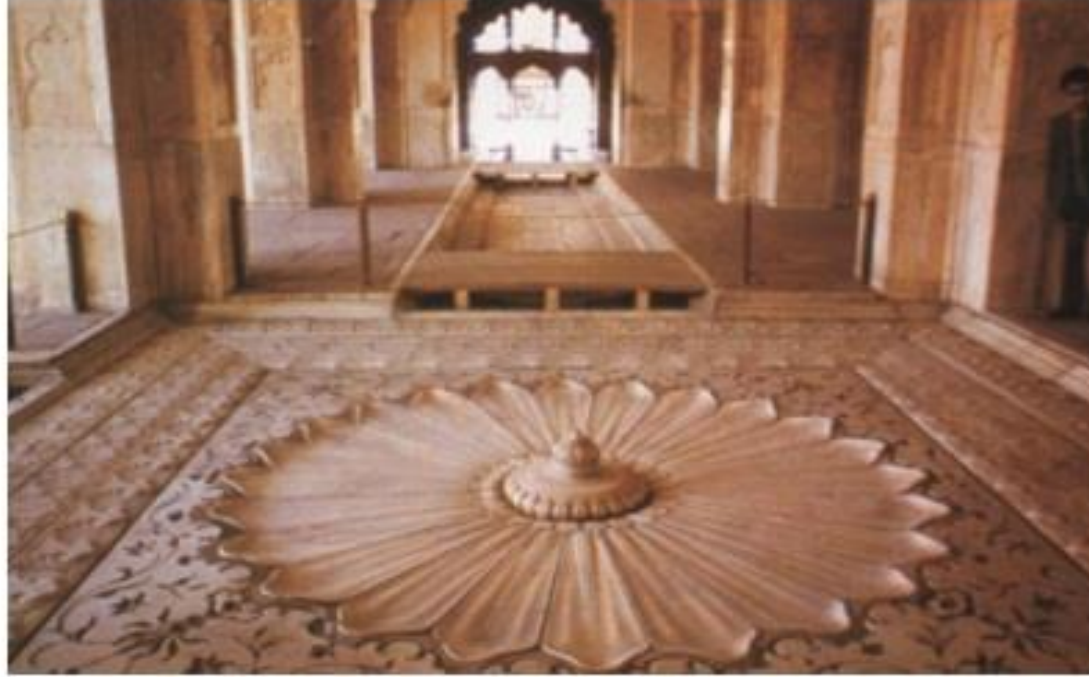
النمط الأول :

بركة في الوسط وقناتان مائيتان متعامدتان ورفيعتان

شكل (4-9) : أنماط استخدام القنوات المائية في حدائق المجتمعات المسلمة،

المصدر: الباحث يتصرف عن مخططات الحدائق الواردة في الفصلين الأول و الثاني .

تقنيات في اظهار حركة الماء



: صورة لأحدى نوافير الماء داخل قصر القلعة الحمراء (آجرا - الهند) توضح الزخارف والنقوش التي استخدمت لإضفاء إحساس بالحركة والصوت ،
المصدر : (Grube,1996 ,P: 156)



(: انعكاس الواجهات على سطح البركة في فناء مدرسة يوسف في مراكش بالمغرب،
المصدر: (Grube,1996 ,P: 15).

رمزية البرك وجريان الماء

وهو ما يراه أرنود مواريز (Arnaud Maurieres) مرتبطا بالدلالات الرمزية للعناصر المعمارية في حدائق المجتمعات المسلمة بقوله: " إن جريان الماء في النافورة والقناة يمثل التجدد الأبدي بينما تمثل البركة انعكاسا لأقامتنا المستقبلية في الجنة، فإذا كان العالم الذي نعيش فيه مجرد انعكاس للجنة الموعودة، فإن انعكاس عالمنا هو الجنة وبالتالي فإن البركة التي في وسط الحديقة تمثل بوابة لجنتنا عدن الموعودة ". (Maurieres, 2001, P: 64).

النباتات والاشجار

فقد إستخدم شجر الحور (Poplars) والسرو لتحقيق التوازن البيئي أما أشجار الدردار والصفصاف والبلوط الضخمة فاستخدمت لإلقاء الظلال في الصيف الحار بينما يسمح تساقط أوراقها شتاءً بدخول الشمس، ولتخفيف الاضطراب الناتج عن الجدران تم زراعة أشجار السرو الطويلة والرفيعة لتخفيف سرعة الرياح وتنقية الغبار داخل الحديقة حيث كانت هذه الأشجار تزرع على طول الجانبين الشرقي والغربي وذلك لإلقاء الظل على الحديقة طوال اليوم .



شجرة البلوط
تصل ارتفاع 25م



شجرة السدر
تصل ارتفاع 4-12م وفقا للنوع



شجرة سرو
تصل ارتفاع 30م

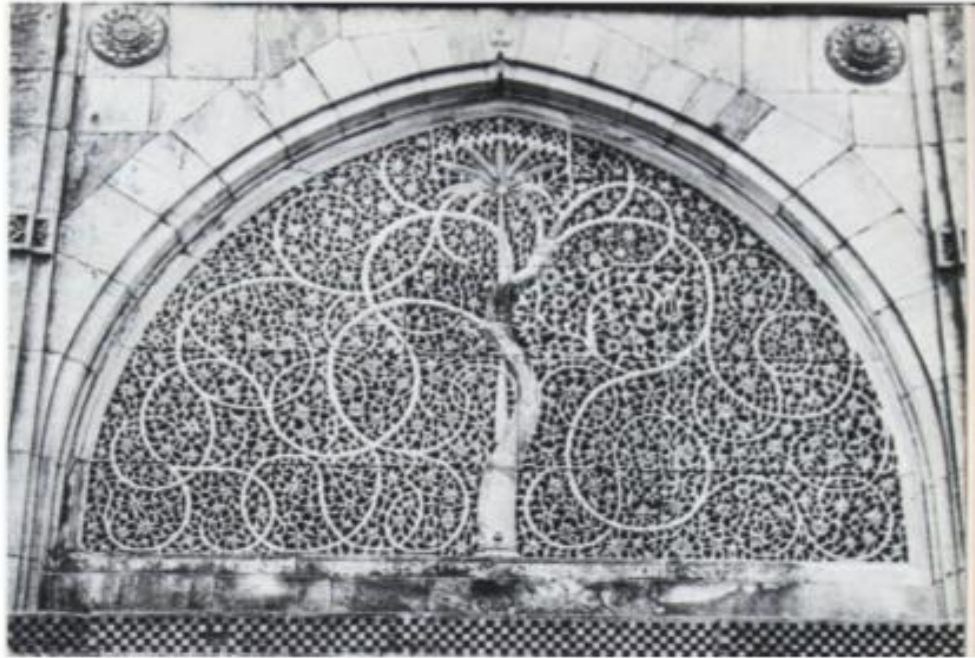


شجرة نخيل
تصل ارتفاع 30م

شكل (3-12) : بعض الأشجار المستخدمة في حدائق المجتمعات المسلمة،

الزخارف

أستخدم المسلمون الزخارف بشكل مكثف في تزيين الحديقة وجدرانها وتمتاز هذه الزخارف بتكوينها الهندسي والنباتي وفقاً لما جرت عليه عادة المسلمين، واستخدمت في تزيين الجدران المحيطة بالأفنية وتغطية النوافذ بالكولسترا وكنقوش تزين العديد من عناصر الحديقة من الشدروان إلى المقاصير إلى التبليطات المختلفة للأرضيات.



شكل (4-14) : نافذة في مسجد سيدي سعيد في الهند، يغطيها كولسترا حجرية منقوشة على شكل أغصان و أوراق وأزهار متشابكة لشجرة (وهذه الزخارف متطابقة وعضوية رغم أنها قد تبدو عن بعد عشوائية)،

المصدر : (Grube,1996 ,P: 185)

الخلاصة

وخلاصة القول أن الحديقة في المجتمعات الإسلامية احتوت العديد من العناصر المعمارية والنباتية، التي أبدع المصممون في الفترة الإسلامية في استخدامها والتي اتخذت أبعادا وظيفية وجمالية ورمزية على حد سواء وهو ما ميزها عن الحدائق في الحضارات القديمة الأخرى وهو ما سيناقشه الفصل الرابع.